بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٦١

# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

ربيع الأول ١٤٣٧هـ — ديسمبر ٢٠١٥م

العدد السابع - المجلد الحادي والستون — December 2015

## ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Talgor Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9839326348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

# محتويات العدد

## العدد السابع - المجلد الحادي والستون - ربيع الأول ١٤٣٧ هـ - ديسمبر ٢٠١٥م


❖ الافتتاحية :

القلم يسطر واللسان يعبّر ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

❖ التوجيه الإسلامي :

أول التكاليف أن تؤدى الأمانة الكبرى وتبيعاتها — الشيخ الطاهر بدوي — ٨

القرآن العظيم والأراضي الكونية حقيقة .... — الأستاذ سعيد الرحمن بن شهاب الدين الندوي — ١٤

نظريات الترجمة الحديثة للقرآن الكريم — د . محمد شاهجهان الندوي — ٢٢

❖ الدعوة الإسلامية :

مبادئ خلقية وطرق سلوكية في ضوء القرآن ..... — د . محمد قطب الدين — ٣٥

عبقرية الشيخ النورسي لمقاومة الفتنة المادية .... — د . علي رضا — ٤٢

❖ الفقه الإسلامي :

قواعد وضوابط لترشيد الإنفاق والاستهلاك — الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي — ٥٠

❖ من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند :

الداعية الجليل الشيخ كرامت علي الصديقي الجونفوري — الأستاذ فخر الدين وحيد — ٦٠

❖ دراسات وأبحاث :

أمم جزيرة العرب وقبائلها — العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٦٨

ابن الهيثم والعالم العالمي والضوء — الدكتور/ جمال الدين الفاروقي — ٧٥

الأدب العربي بين القديم والحديث : ومضات نقدية — الأخ محمد سليم — ٨٠

❖ صور وأوضاع :

حادثة باريس وانعكاساتها على مجهودات الأمن ..... الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٦

❖ إلى الإسلام من جديد :

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا — محمد فرمان الندوي — ٨٩

❖ علم فقدناه :

فضيلة الشيخ العلامة السيد نظام الدين القاسمي الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي الأزهري — ٩١

❖ أخبار اجتماعية وثقافية :

رابطة الأدب الإسلامي العالمية تعقد ندوتها العلمية الخامسة والثلاثين — قلم التحرير — ٩٤

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١. فضيلة الشيخ السيد نظام الدين إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٧

٢. فضيلة الشيخ المفتي محمد فاروق الميرتهي في ذمة الله تعالى — " " " — ٩٨

٣. الأستاذ محمد صفوان خان الندوي البوفالي في ذمة الله تعالى — " " " — ٩٩

٤. الدكتور محمد مظهر عالم الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

٥. الشيخ وصي أختر إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

الافتتاحية

# القلم يسطر واللسان يعبّر !

القلم – أي قلم – عاجز عن وصف رسول الإنسانية ( صلى الله عليه وسلم ) وبيان مزاياه ، مهما أوتي من سحر الفصاحة والبلاغة وقوة التعبير والتصوير ، وقد سجل تاريخ القلم في العالم البشري روائع العلم والأدب وعجائب الكتابة والخطابة ومعجزات الكلام الرباني وبدائع السيرة النبوية ، وآثار الآيات الكونية والقدرات الإلهية في الكون والحياة وقصص الرجال والأبطال ، كان القلم مسخراً بأيدي أصحابه لكي يسطروا به الأفكار والآراء ، ويسجلوا به وقائع الإنسان فردية وجماعية ، وأحداث الأمم والشعوب وحقائق الخلق والأمر ، ولتفضيل القلم ومكانته الرفيعة أقسم الله سبحانه بالقلم في مفتتح سورة ( ن . والقلم ) فقال : ( ن. والقلم وما يسطرون ) أقسم الله سبحانه بالقلم لما فيه من البيان مثل اللسان ، وبه يُكتب كل ما في الأرض والسماء ، وقال الشاعر أبو الفتح البستي :

إذا أقسمَ الأبطالُ يوماً بسيفهم ... وعدّوه ممّا يُكْسِبُ المجدَ والكرمْ
كفى قَلَمَ الكتاب مَجْداً ورفعةً ... مدَى الدَّهرِ أنّ اللَه أقْسَم بالقَلَمْ

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا قسم بالقلم الذي خلقه الله تعالى فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة ، قال : وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض ، ويقال : خلق الله القلم ثم نظر إليه فانشق نصفين ؛ فقال : اجر ؛ فقال : يا رب بم أجري ؟ قال بما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فجرى على اللوح المحفوظ . وقيل : خلق الله القلم الأول فكتب ما يكون في الذكر ، ووضعه عنده فوق عرشه ، ثم خلق القلم الثاني ليكتب به في الأرض ؛ على ما يأتي بيانه في سورة : " اقرأ باسم ربك الذي خلق " .

وهذا النوع الثاني من القلم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُمر بالقراءة باسم الرب تبارك وتعالى الذي خلق الكون كله وخلق

الإنسان ومنَّ عليه بالعلم ، وعلمه بالقلم ما لم يكن له به علم ، ورفعه إلى أعلى قمة من العز والسعادة من خلال الأنبياء والرسل الذين كانوا معلمي النوع البشري وأساتذة العلوم والمعارف التي أوحي بها إليهم ليتمكنوا بها من إبلاغ رسالة السماء إلى الأرض وإصلاح ذلك الفساد الذي كان يشمل الكرة الأرضية ، وتعريف دور الإنسان في نشر الرسالة السماوية في أرض الله الواسعة ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكي يُعرّف بأفضل خلق بين جميع الخلائق ويتصرف في النعم التي أنزلها الله تعالى لعمارة الكون ولإسعاد الحياة البشرية ، النعم التي لا يأتي عليها الحصر ( وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ) وقال تعالى : (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ ) .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولم يأت بعده نبي ولا رسول ، فجمع الله تعالى فيه من الصفات العالية والفضائل الجليلة ما يكفي لتنظيم الحياة في هذا الكون الواسع العريض وبالرحمة العالمية التي أرسل بها رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : ( وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) فكان رحمة دائمة تشمل الكائنات كلها والعالمين كلهم ، ولقد بذل أهل القلم مجهوداتهم التعبيرية إلى آخر المدى ، وانطلقت الألسنة ببيان صور هذه الرحمة إلا أنها أعلنت عجزها عن تفسير هذه الرحمة وإعطاء تصوير " رحمة للعالمين " حقه ، وقد تحدى التاريخ البشري جميع القوى والطاقات بكل ما تملكه من الوسائل والذخائر أن تقدم لها مثالاً – ولو ناقصاً – ولكنها باءت بالفشل ولم تتمكن من الرد على هذا التحدي العام ، بل وخضع بعضها للدين الإسلامي ، وشهد بكلمة الإسلام .

ونحن في هذا العالم المتغير المتطور نواجه هجمات منكرة على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بوسائل متعددة من العلوم والتقنيات ، ووراء ستار من دسائس ومؤامرات تبيت في مراكز التشكيك والإيهام ، وتثار في نفوس الشباب من جنسيات مختلفة شبهات حول التاريخ الإسلامي بكامله ، ولا ريب أنها جهود فاشلة غير جديرة بأي لفتة إليها ، إلا أن هناك مخاوف تراود نفوس المسلمين ودعاة الدين أن لا يقع جيل

الشباب المسلم فريسة لهذه المكايد ، وقد أمرنا الله تعالى بالاتقاء من كل فتنة فقال : ( وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ) (الأنفال : ٢٥ ) ، وقال : ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَآمِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) ( الحديد : ٢٨ ) .

وبغاية من التأكيد والإيضاح تحدث الله سبحانه عن وصف نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم ، فقال : ( مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) ( الفتح : ٢٩ ) .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مفخرة دائمة باقية للتاريخ البشري ، بل الواقع أن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت معجزة خالدة للنوع الإنساني على امتداد الحياة والمجتمع ، فقد شملت هذه السيرة جميع صفات الإنسانية وسماتها وخصائصها وميزاتها ، وسجلها التاريخ بكل دقة وأمانة ، وبكل وضوح وبراعة من أول ولادته إلى آخر أيام حياته ، ومن أول يوم البعثة إلى آخر لحظة من رسالته ، وفي جميع المجالات المعيشية إلى كل الساحات الفردية والجماعية والعلاقات الشخصية والعائلية ، فإن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله أحدثت ثورة كبيرة في جميع البيئات والمجموعات الجاهلية منذ أن تحقق واقع الهجرة ، وذلك ما عبره الرب تبارك وتعالى بالفتح المبين ، وبشر به في سورة مستقلة في القرآن الكريم ، وهي سورة الفتح فقال تعالى : ( إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً . لِّيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً . وَيَنصُرَكَ اللّهُ نَصْراً عَزِيزاً . هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُواْ إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً . لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً ) ( الفتح : ١ – ٥ ) .

ولا ريب أن سورة الفتح تعتبر دستوراً خالداً للحياة الإسلامية وتفسيراً للدعوة إلى الله ، ووثيقة مفتوحة لجميع المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة ، ومن ثم انتشرت دعوة الإسلام على أوسع نطاق في مشارق الأرض ومغاربها ودخل الناس في دين الله أفواجاً ( إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا ) وتآخى المهاجرون والأنصار وتحابوا بفضل هذا الفتح المبين ، وقد بذل اليهود والنصارى قصارى جهودهم في تفشيل هذه الوثيقة الإخائية ، ولم يدخروا وسعا في التفريق بين القبيلتين وعدم قبولهم ما قد قام به النبي صلى الله عليه وسلم من زرع بذور الوحدة والإخاء في قلوب الناس التي تقرر حرية العقيدة والرأي وحرمة الحياة والروح والمال وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم ( إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، إلى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ . أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ . قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ، فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ) .

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم مبدء الوحدة الإنسانية بأن الناس كلهم من آدم وآدم خلق من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، وقال : أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد فكان إعلاناً صارخاً لوحدة الإنسان ولوحدة الرب تبارك وتعالى ، كما قد تحدث عن ذلك واستدل عليه أستاذنا الإمام العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي كبير علماء الهند في القرن المنصرم في كتابه الجليل عن السيرة النبوية :

" وهذا الإعلان يتضمن إعلانين ، هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام ، وعليهما قام السلام في كل زمان ومكان ، وهما وحدة الربوبية والوحدة البشرية ، فالإنسان أخو الإنسان من جهتين ،

والإنسان أخو الإنسان مرتين ، مرة " هي الأساس " لأن الرب واحد ، ومرة ثانية لأن الأب واحد .

" يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً " ( النساء : ١ ) . " يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " ( الحجرات : ١٣ ) .

إنها كلمات خالدة جرت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، وحينما قام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الإعلان التاريخي العظيم لم يكن العالم في وضع طبيعي هادئ يسيغ فيه هذه الكلمات الجريئة الصريحة ويطيقها ، إن هذا الإعلان لم يكن أقل من زلزال هائل عنيف . " ( السيرة النبوية ، ص / ٤٨٣ )

وليس هذا الإعلان حدثاً جديداً ، إنما هو قديم غاية القدم منذ أن أخبر الله سبحانه الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة ، ورغم أن هؤلاء الملائكة وجهوا سؤالاً يتضمن إنكار السجود لآدم عليه السلام مستدلين بأن بني آدم سوف يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، ونحن يسعدنا أن نسبح بحمدك ونقدس لك بصفة دائمة ، ولكن الله سبحانه أبى إلا أن يسجدوا ، وقال : ( إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ) .

ذلك لأن الرب واحد والأب واحد فهو ( الإنسان ) يتمتع بوحدتين يتصل بعضها مع بعض ، وهي سعادة له لا تعادلها سعادة . وذلك منذ أن أكمل الله تعالى دينه وأتم على الناس نعمته ورضي لهم الإسلام ديناً ، فقال :

( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً )

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٣٧/٢/٥ هـ
٢٠١٥/١١/١٨ م

التوجيه الإسلامي

# أول التكاليف أن تؤدي الأمانة الكبرى وتبعاتها

بقلم : الشيخ الطاهر بدوي*

والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى .. الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان والتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان . أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه . فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة : فكل ما عدا الإنسان ألهمه ربّه الإيمان به والاهتداء إليه ومعرفته وعبادته وطاعته وألزمه طاعة ناموسه بغير جهد منه ولا قصد ولا إرادة ولا اتجاه . والإنسان وحده هو الذي وكل إلى فطرته وإلى عقله وإلى معرفته وإلى إرادته وإلى اتجاهه وإلى جهده الذي يبذله للوصول إلى الله تعالى بعون منه سبحانه : " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا وإن الله لمع المحسنين ". ( العنكبوت / ٦٩ ).

إن السماوات والأرض والجبال التي اختارها القرآن ليحدث عنها ، هذه الخلائق الضخمة الهائلة ، التي يعيش الإنسان فيها أو حيالها فيبدو شيئا صغيرا ضئيلا .. هذه الخلائق تعرف بارءها بلا محاولة ، وتهتدي إلى ناموسه الذي يحكمها بخلقتها وتكوينها ونظامها ، وتطيع ناموس الخالق طاعة مباشرة بلا تدبر ولا واسطة ، وتجري وفق هذا الناموس دائبة لا تني ولا تتخلف دورتها جزءا من ثانية ، وتؤدي وظيفتها بحكم خلقتها وطبيعتها غير شاعرة ولا مختارة .

هذه الشمس التي من مثلها الملايين ، تدور في فلكها دورتها المنتظمة التي لا تختل أبدا وترسل بأشعتها فتؤدي وظيفتها التي قدرها الله لها ، وتجذب توابعها بلا إرادة منها ، فتؤدي دورها الكوني مع مجموعتها أداء كاملا . وهذه الأرض تدور دورتها وتخرج زرعها ، وتقوت أبناءها وتواري موتاها وتتفجر ينابيعها وفق سنة الله بلا إرادة منها .

* كبير علماء الجزائر .

وهذا القمر وهذه النجوم والكواكب ، وهذه الرياح والسُحب وهذا الهواء وهذا الماء وهذه الجبال وهذه الوهاد .. كلها .. كلها .. تمضي لشأنها بإذن ربها ، وتعرف بارءها ، وتخضع لمشيئته بلا جهد منها ولا كد ولا محاولة ، لقد أشفقت من أمانة التبعة ، أمانة الإرادة ، أمانة المعرفة الذاتية ، أمانة المحاولة الخاصة .. و " حملها الإنسان " .. هذا الذي خلقه الله تعالى على صورته وجعله خليفة له في أرضه .. هذا الإنسان الذي يعرف الله بإدراكه وشعوره ويهتدي إلى ناموسه بتدبيره وبصره ويعمل وفق هذا الناموس بمحاولته وجهده ، و يطيع الله بإرادته وحمله لنفسه ومقاومة انحرافاته ونزغاته ومجاهدة ميوله وشهواته ، وهو في كل خطوة من هذه الخطوات مريد مدرك ، يختار طريقه وهو عارف إلى أين يؤدي به هذا الطريق !!

إنها أمانة ضخمة ، حملها هذا المخلوق الصغير الحجم ، القليل القوة ، الضعيف الحول المحدود العمر الذي تناوشه الشهوات والنزعات والميول والأطماع ، هذا القليل القوي الذي جمع فيه الله جميع القوى والذي جعل في خدمته القوى والأقوى و الأقوى ...

وإنها حقا لمخاطرة أن يأخذ على عاتقه هذه التبعة الثقيلة ، ومن ثم كان ظلوما لنفسه جهولا لطاقته وجهولا لا يعرف هل يؤديها على ما يرام أم كيف يؤديها ، جهولا لتبعاتها ونتائجها ... هذا بالقياس إلى ضخامة ما زج بنفسه لحمله. فأما حين ينهض بالتبعة ، حين يصل إلى المعرفة الواصلة إلى ربّه وبارئه والاهتداء المباشر لناموسه والطاعة الكاملة لإرادة خالقه ، المعرفة والاهتداء والطاعة التي تصل في طبيعتها وفي آثارها إلى مثل ما وصلت إليه من سهولة ويسر وكمال في السماوات والأرض والجبال .. وحين يصل الإنسان إلى هذه الدرجة وهو واع مدرك مريد ، فإنه يصل حقا إلى مقام كريم ومكان بين خلق الله فريد .

عن الحسن البصري رحمه الله أنه تلا هذه الآية : " إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال .. " (الأحزاب/٧٢) . قال: عرضها على السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم ، وحملة العرش العظيم،

فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت وما فيها ؟ قال : قيل لها إن أحسنتِ جُزيت وإن أسأت عوقبت . قالت : لا .

ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد التي شدت بالأوتاد وذللت بالمهاد قال : فقيل لها : هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال قيل لها: إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت .

قالت : لا . ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب ، قال : قيل لها : هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال لها : إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت ، قالت لا[1] .

وفي حديث أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان أن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنس والجن والسماوات والأرض والجبال . فبدأ بالسماوات فعرض عليهن الأمانة وهي الطاعة فقال لهن أتحملن هذه الأمانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب في الجنة فقلن : يا رب إنا لا نستطيع هذا الأمر ، وليس بنا قوة ولكنا لك مطيعون . ثم عرض الأمانة على الأرضين فقال لهن : أتحملن هذه الأمانة وتقبلنها مني وأعطيكن الفضل والكرامة في الدنيا ؟ فقلن : لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطيق ولكنا لك سامعون مطيعون لا نعصيك في شيء أمرتنا به . ثم قرب آدم فقال له : " أتحمل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها ؟ فقال عند ذلك آدم : مالي عندك ؟ " قال : " يا آدم ! إن أحسنت وأطعت ورعيت الأمانة فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة ، وإن عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فإني معذبك ومعاقبك وأنزلك النار " قال: " رضيت يا رب " وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك : " قد حمّلتكها ". فذلك قوله تعالى: " وحملها الإنسان " .

ومما ينبغي الالتفاتة إليه أن عدم قبول السماوات والأرض والجبال الأمانة وقبول الإنسان لها يوضح جليا أن الله تعالى أزلا قضى أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها .. فالأمانة من مهام الإنسان كخليفة في الأرض وتحملها من وُسعه لأنه مخلوق لذلك وميسر لما خُلق بينما في وُسع السماوات

[1] ذكره ابن أبي حاتم من كلام الحسن البصري رضي الله عنه .

والأرض والجبال خدمة هذا الإنسان الضعيف والقوي معا ، ولذا عبّرت بالاعتراض حين اختيرت مجازا على حملها ، اعتراض الحال الذي يوافق ناموس الخالق فيها وهو أحسن الخالقين ، فالجماد يخدم النبات والإنسان والنبات كلاهما يخدم الحيوان والإنسان والحيوان يخدم الإنسان ومن يخدم هذا الإنسان يا ترى ؟ فالمنطق الفطري يقتضي أن يكون الإنسان في خدمة خالقه لأن الله تعالى بنفسه يخدمه ولأن كل ما حوله يخدمه ولكن هو المخلوق الوحيد الذي يتمرد عن ربّه ويطغى إلا إذا اجتباه ربّه وهداه سواء السبيل وعرّفه تكاليف الأمانة و وفقه لحملها وفق منهجه ابتغاء رضاه و تحقيق معنى العبودية لله وحده في الأرض ..

ومما يتعلق بالأمانة ما روى عن حذيفة رضي الله عنه قال :[1] حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجْل[2] كجمر دحرجتَه على رجلك ، تراه منتبرا[3] ، وليس فيه شيء قال : ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال : فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال : إن في بني فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل : ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت إن كان مسلما ليردنه علي دينه وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا و فلانا " .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة وعفة

---

[1] أخرجه الشيخان والإمام أحمد .
[2] المجل : انتفاخ في اليد من العمل الشاق أو النّار .
[3] منتبرا : متورما .

طعمة ( أي الجهة التي يرزق منها ) " .

إنها الإرادة والإدراك والمحاولة وحمل التبعة ، هي هي ميزة هذا الإنسان على كثير من خلق الله تعالى وهي هي مناط التكريم الذي أعلنه الله سبحانه في الملأ الأعلى ، وهو يُسجد الملائكة لآدم ، و أعلنه في قرآنه الباقي و هو يقول : " و لقد كرمنا بني آدم .. " ( الإسراء /٧٠)

فليعرف الإنسان مناط تكريمه عند الله ولينهض بالأمانة التي اختارها ، والتي عرضت على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها و أشفقن منها .. !

فاختصاص الإنسان بحمل الأمانة ، وأخذه على عاتقه أن يعرف بنفسه و يهتدي بنفسه ، و يعمل بنفسه ، و يصل بنفسه .. هذا كان ليحتمل عاقبة اختياره و ليكون جزاؤه من عمله .. وليحق العذاب على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات وليمد الله يد العون للمؤمنين والمؤمنات فيتوب عليهم مما يقفون فيه تحت ضغط ما ركب فيهم من نقص و ضعف ، و ما يقف في طريقهم من حواجز و موانع وما يشدهم من جواذب وأثقال ..

فذلك فضل الله وعونه وهو أقرب إلى المغفرة والرحمة بعباده سبحانه : " وكان الله غفورا رحيما ".

ومن هذه الأمانة الكبرى تنبثق سائر الأمانات التي يأمر الله أن تؤدى ومن هذه الأمانات : أمانة الشهادة لهذا الدين .. الشهادة له في النفس أولا بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة له ، ترجمة حية في شعورها وسلوكها ، حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذه النفس فيقولوا : " ما أطيب هذا الإيمان وأحسنه وأزكاه ، وهو يصوغ نفوس أصحابه على هذا المثال من الخلق والكمال ، فتكون هذه شهادة لهذا الدّين في النفس ، يتأثر بها الآخرون ، والشهادة له بدعوة الناس إليه ، وبيان فضله ومزيته ، بعد تمثل هذا الفضل وهذه المزية في نفس الداعية . فما يكفي أن يؤدي المؤمن الشهادة للإيمان في ذات نفسه ، إذا هو لم يدعُ إليها الناس كذلك، و ما يكون قد أدى أمانة الدعوة و التبليغ والبيان ، وهي إحدى

الأمانات ثم الشهادة لهذا الدين بمحاولة إقراره في الأرض منهجا للجماعة المؤمنة ومنهجا للبشرية جميعاً . المحاولة بكل ما يملك الفرد من وسيلة وبكل ما تملك الجماعة من وسيلة .فإقرار هذا المنهج في حياة البشر هو كبرى الأمانات بعد الإيمان الذاتي ولا يُعفى من هذه الأمانة الأخيرة فرد ولا جماعة .. ومن ثم فالجهاد ماض إلى يوم القيامة على هذا الأساس .. أداء لأحدى الأمانات .

ومن هذه الأمانات الداخلة في ثنايا ما سبق ، أمانة التعامل مع الناس و رد أماناتهم إليهم : أمانة المعاملات والودائع المادية وأمانة النصيحة للراعي والرعية وأمانة القيام على الأطفال الناشئة وأمانة المحافظة على حرمات الجماعة وأموالها وثغراتها ، وسائر ما يجلوه المنهج الرباني من الواجبات والتكاليف في كل ميادين الحياة على وجه الإجمال . فهذه من الأمانات التي يأمر الله أن تؤدّى ويجملها النص هذا الإجمال .

فأما الحكم بالعدل بين الناس فالنص يطلقه هكذا عدلا شاملا " بين الناس " جميعاً ، لا عدلا بين المسلمين بعضهم و بعض فحسب و لا عدلا مع أهل الكتاب دون سائر الناس .. و إنما هو حق لكل إنسان بوصفه " إنسان " . فهذه الصفة ، صفة الناس ، هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعاً ، مؤمنين وكفارا ، أصدقاء وأعداء ، سوداً وبيضاً ، عرباً وعجماً . والأمة المسلمة قيّمة على الحكم بين الناس بالعدل ، متى حكمت في أمرهم هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط في هذه الصورة إلا على يد الإسلام ، و إلا في حكم المسلمين و إلا عهد القيادة الإسلامية للبشرية والذي افتقدته من قبل ومن بعد هذه القيادة ، فلم تذق له طعما قط ، في مثل هذه الصورة الكريمة التي تتاح للناس جميعاً ، لأنهم " ناس " لا لأية صفة أخرى زائدة عن هذا الأصل الذي يشترك فيه " الناس " و ذلك هو أساس الحكم في الإسلام كما أن الأمانة بكل مدلولاتها هي أساس الحياة في المجتمع الإسلامي .

●●

# القرآن العظيم والأراضي الكونية حقيقة طبيعية مدهشة

( الحلقة الأولى )

بقلم : الأستاذ سعيد الرحمن بن محمد شهاب الدين الندوي *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فيعلن القرآن بالنسبة إلى سائر الأراضي الواقعة في السماوات السبع بما فيها أرضنا هذه أيضاً عن حقيقة طبيعية وظاهرة كونية عجيبة قائلاً بصراحة

١- ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) البقرة : ١٦٤

يظهر من تركيب ( السماوات والأرض ) في هذه الآية أن لفظ (الأرض ) هنا أيضاً ما سيق إلا على سبيل الجنس مما يضم مدلوله سائر الأراضي الكونية ، وكذلك لفظ ( السماء ) هنا لم يرد إلا على سبيل الجنس ، وذلك لأن هذا اللفظ بذاته اسم للجنس واستعمل في سياق (السماوات ) أيضاً ، مما أريدت به السماوات السبع ، فههنا ذكر من ستة دلائل ربوبية ما يربط بعضها مع البعض بواو العاطفة ، والدليل الرابع منها قوله جل وعلا ( وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ) .

إن البيان عن إحياء بقعة مجدبة يابسة من الأرض مطرد في مواضع عديدة من القرآن بصيغة المضارع ، على أن الآية الحالية تناولت هذا البيان

---

* الأمين العام للأكاديمية الفرقانية، بنجلور، الهند وعضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

بادئ الأمر بصيغة الماضي ، ثم أضيف إلى هذا البيان تغير التعبير بوجه إعجازي ما ينتج من هذا العمل فعل إلهي آخر ، وهو ( وبث فيها من كل دابة ) ، وزد إلى ذلك استعمال ( الأرض ) على سبيل الجنس ، فيستفاد من جميع هذه الدلائل والشواهد على وجه أحسن أن المراد بذلك ليس العمل الإلهي الذي نشاهده عادةً في حياتنا اليومية من أن الله تعالى يخصب أي بقعة مجدبة بإمطار السماء بصفة جزئية ، بل إنما الغاية من ذلك في الواقع التنبيه للإنسان بأن سائر الأراضي أيضاً بصفة عامة بالإضافة إلى أرضنا كانت ميتةً في السابق ، التي تم إحياؤها في زمن سالف من الأزمنة عن طريق إنزال المطر من السماوات ، وبعد ذلك بث فيها كل نوع من الحيوانات !

فالقرآن قد وضح من خلال هذا البيان سراً مطوياً لعالمي الطبيعيات والأرضيات مما لم يصل غوره تماماً حتى العالم الطبيعي إلى الآن ، مع أن القياسات والتخمينات تجري فعلاً على أساس الدلائل العلمية القاطعة حول أن أرضنا الحالية كما عادت قبل خمسة وستين مليون سنة مجدبةً ميتةً كلياً بسبب حادث طبيعي بما أدى إلى القضاء على الديناصور (dinosaur) وسائر الأنواع من الحيوانات والنباتات عن صفحتها تقريباً ، فهل وقع هناك من حوادث أخرى في تاريخها الطبيعي من هذا القبيل ما جعل دورة الحياة (life cycle) قد تلاشت هنا كلياً واستأنفت أكثر من مرة من جديد؟ على أن القرآن يكشف القناع عن هذه الحقيقة في صراحة أن هذه الأرض لم تكن ميتةً فحسب ، بل جميع الأراضي الكونية كانت كذلك قبل أطوارها الحياتية الحالية والتي لم ينشر فيها من كل نوع من أنواع الحيوانات إلا بعد إحيائها بإنزال الماء من السماء ، فمعنى ذلك واضحاً بعيد المدى أن جميع مظاهر الحياة على أرضنا ولا سيما سلسلة الإنسانية الحالية أيضاً إنما هي مدينة بهذا في طورها الحياتي الحالي ، وذلك لأن ما نشر في هذه الأرض من ( دابة ) – كما ثبت ذلك في مكان آخر سابق – يضم مدلوله الإنسان أيضاً ، وأن هذه الأرض لم يطرأ عليها الجدب والموت بصفة عامة منذ تاريخ الإنسانية الحالية الممتد على عدة آلاف سنة ولا في الماضي القريب كذلك .

الآن فهذا الاكتشاف الجديد يثير طبعاً في النفوس هذا السؤال الأساسي الذي لا بد منه ، وذاك أن جميع الأراضي لئن كانت ميتةً قبل أطوارها الحياتية الحالية فكيف كانت قبل مماتها؟ لأن "الميت" لا يطلق إلا على من بقي حياً في زمن ما ، ومن كان فاقد الحياة على الإطلاق ليس بصحيح إطلاقه عليه بحال ، ويتبين كذلك من ألفاظ القرآن ( بعد موتها ) جلياً أن الموت لم يكن طرأ على هذه الأراضي في السابق إلا في طور حياتها ، فمن كل ذلك يثبت لا محالة أن هذه الأراضي قد مضى عليها طور الحياة الأخرى أيضاً قبل موتها السابق ، وإذا أرجعنا هذا المنطق إلى الوراء فيثبت منه مزيد من الأطوار الميتة والحية لأرضنا والأراضي الكونية الأخرى ، وما ذكر من نشر كل نوع من أنواع المخلوقات في هذه الأراضي في أطوارها الحياتية الحالية يفيد أيضاً بأن هذه السلسلة من الخلق على غرار ذلك كانت متواصلةً من حين لآخر بكامل الرونق والبهاء في أطوارها السابقة الحية ومتلاشيةً بموت تلك الأراضي بالاستمرار ، فالآية التالية تعلم الدرس بذاته في أسلوب آخر هكذا :

٢- ( أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) العنكبوت : ١٩- ٢٠

( الخلق ) هنا مصدر " خلق يخلق " ، معناه " إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء " ، وهذا اللفظ يعم إطلاقه على المخلوق أو مجرد الإنسان على السواء ، وهذه المعاني الثلاثة متداولة ومعروفة بكثير من اللغات ، وكذلك قد كثر وروده في القرآن بنفسه في نفس المعاني مما له أمثلة بالترتيب فيما يلي :

( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . . . ) الشورى : ٢٩

( هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ . . . ) لقمان : ١١

( . . . إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ . . . ) يونس : ٤

يحتمل هنا جميع هذه المعاني أيضاً لاتحادها في جوهرها ، فظاهر

أن كلاً من المعنيين الأولين يعتمد على الآخر حيث لا يظهر المخلوق في حيز الوجود إلا بعملية الخلق ، فبمجرد أن تبتدئ عملية الخلق من جانب تظهر المخلوقات في جانب آخر ، أما المعنى الثالث فهو بالنسبة لهذين المعنيين شبيه بهما مما نتناوله بالتفصيل في الباب الآتي إن شاء الله تعالى، ونجتزئ هنا بأخذ المعنى الأول ، فالكلمات " بدأ " و " أبدأ " و " ابتدأ " مترادفة لغةً وحقيقةً ، معناها " بدأ بعمل " ، وهو المراد هنا كما يقول الله تعالى في موضع آخر :

( الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ ) السجدة: ٧

وعلاوةً على ذلك يتبين من التعبير القرآني أن الضمير المنفصل في (يعيده) لا يشير إلا إلى إبداء الخلق ، فمعانى هذه الألفاظ الحقيقية وحقيقة هذا الضمير المنفصل تفيدنا بأن الفقرة ( أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ) في الآية الكريمة التي نحن بصددها تقدم الدعوة للإنسان إلى التفكير في كيفية عملية بدء الخلق وإعادته من جديد باستمرار ، مما يتبين منه بوضوح أن البيان هنا لا يدور حول البعث بعد الموت يوم القيامة لما أن ذلك اليوم لا يكون فيه إعادة عملية الخلق ، بل ينبش ما في القبور من الموتى تواً كما تشير إلى ذلك الآيتان التاليتان :

( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ) يس:٥١

( إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ) يس:٥٣

فالمستفاد من ذلك أن البيان هنا يدور حول ما ثبت في الإرشاد السابق من الأطوار الحية والميتة لسائر الأراضي الكونية وما يجري في كل طور حي منها من عملية إعادة الخلق من جديد على الاستمرار . فلذلك الآية اللاحقة ( قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ) تحرض الإنسان على التدبر والتفكر في بداية ما يجرى على أرضنا هذه من عملية الخلق الحالي ، فهذه الفقرة ناطقة بصراحة بأن ما على هذه الأرض من وجود الحياة وسائر أنواعها إنما هو لم يظهر إلى حيز الوجود مفاجئةً وجملةً ، بل لكل منها نقطة انطلاق ابتدأ وجوده منها ، ليس بمستبعد هنا أيضاً أن تكون هذه الدعوة قد وجهت للتفكر في الخلق

الطبيعي لهذا العالم المادي إلا أن هذه الآية الأخيرة ترفع هذا الاحتمال كاملاً بحيث إن العلم الذي يكتسب نتيجة السير في الأرض أي نتيجة الدلائل الداخلية يستطيع أن يعطينا معرفة الحياتيات وما نقطة انطلاقها على عكس الطبيعيات التي هي مقصور علمها على الدلائل الخارجية على وجه العموم .

فيستفاد من هذه الدعوة الإلهية بتمام الوضوح أنه في مقدور الإنسان ذاتياً إدراك هذه الحقيقة الطبيعية الكونية بدقة ، وإلا فلا يحرض على ذلك . ولا يغيبن عن البال أن توجيه الدعوة هنا للتفكير في عملية إعادة الخلق من جديد على الاستمرار بكلمة ( أولم يروا ) مع أن من المعلوم أن هذه العملية ليست في إمكان أعيننا رؤيتها ، الأمر الذي يدل على أن هذه الدعوة موجهة للإنسان إلى الرؤية العلمية والاستدلالية لا الرؤية الحقيقية . على كل فالإنسان اليوم ، استجابةً لهذه الدعوة الإلهية معنوياً ، يجمع الدلائل العلمية والبراهين العقلية الساطعة يوماً فيوماً على ما يتوقع في بعض السيارات الأرضية من نظامنا الشمسي من عوامل الخلق والفناء المرتقبة ، وفي إطار أرضنا الحالية أيضاً قد تطور هذا البحث تطوراً متزايداً ، وسيأتي الكلام عليه مفصلاً إن شاء الله في مناسبة أخرى .

هكذا فهذا الإرشاد الحالي ، إلى جانب التأكيد على حقيقة ما قد ثبت من خلال الإرشاد المنصرم من الأموات الطارئة على جميع الأراضي في العهد السابق ، يكشف عن أطوار الموت والحياة مما جرى عليها من حين لآخر بالاستمرار فيما سبق منه من العهد ، فلذا إذا قد سبقت على جميع الأراضي بالإضافة إلى أرضنا الحالية الأطوار الحياتية مثل هذا الطور الحياتي فينشأ في الأذهان هذا السؤال ، وهو أنه ما الغرض الإلهي الذي يقف وراء تلك التخليقات فيما مضى من الأزمنة ؟ هل كان قد تم آنذاك أيضاً إسكان المخلوقات الأخرى المكلفة فيها كأجيال الجن والإنس؟ فإليكم لمزيد من الشرح والتفسير لهذا البيان القرآني الآيات التالية مما يدل على أن الجواب عن هذا السؤال يقدم عن طريق ذات النوع من التعبير في مجرد إطار أرضنا الحالية مما يمكن أن

نقيس عليها الأراضي الأخرى أيضاً :

٣- ( أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ السُّوءَى أَن كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) (الروم : ٩ - ١١ )

فإن كان في الإرشاد السابق دعوة إلى التفكير في بداية ما يجرى على أرضنا من عملية الخلق الحالي بعدما أخبر عن إعادتها من الله تعالى من جديد على الاستمرار بقوله ( قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ) ففي الإرشاد الحالي تحريض عن طريق ذات النوع من التعبير (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ) على مشاهدة العاقبة الوخيمة التي حلت بمخلوقات كانت عامرة في الأطوار التخليقية الجارية عليها سابقاً ، ولأجل تأكيد هذا المفهوم يعاد القول (الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ) في الأخير مرة أخرى ، وذلك ما يفيد بأن الله تعالى يبدأ الخلق والمخلوقات ثم تترى إعادتها . وليعلم أن هذه الفقرة إذا كانت وردت في الإرشاد السابق في بدايته فأوردت في هذا الإرشاد في أعقابه بطريق تغيير التعبير ، فهذا التوافق التعبيري في هذين الإرشادين يفيد توافقهما من حيث المعنى .

فبموجب هذا البيان الإلهي كانت المخلوقات السابقة العامرة في هذه الأرض تحرث الأرض للزراعة وكانت أشد منا قوة وأكثر منا عدداً بكثير ، وكذلك كانت بعثت إليها الرسل بالبينات ولكنها كذبت فأهلكت بسبب تكذيبها ، على هذا فورود الأطوار الحية والميتة وذهابها على الأراضي إنما يكون هو لإجراء التخليق والتعذيب على المخلوقات المكلفة فيها ، وزد إلى ذلك ليستفاد من هذه الدعوة الإلهية ( أولم يسيروا في الأرض ) أيضاً أن الإنسان كما في مقدوره إقامة الدلائل العلمية القاطعة على الطور التخليقي الجاري على الأرض وبدايته فكذلك في

مقدوره في الوقت نفسه الاستقصاء للأطوار السابقة التي مرت بها هذه الأرض وعاقبة ما فيها من المخلوقات ، ومما يزيد هذين التوجيهين توكيداً وقوة الآيات التالية :

٤- ( أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ . وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ) ( يس : ٣١- ٣٣ )

مما يسترعي الانتباه هنا أن أحوال الأرض الميتة تجعل دليلاً على هلاك الأمم السابقة بغاية من الصراحة والوضوح ما يغنينا عن مزيد من توجيه ذلك وتأويله ، فيثبت من ذلك أن أرضنا هذه لم يطرأ عليها في السابق موت واحد وحياة واحدة فحسب بل إنما هي تعرضت للعديد من الأموات والحياة ، وبذلك يزداد ما أخذنا من مفهوم كثرة الأموات والحياة للأراضي ضمن التوجيهات الأولى قوة وتوكيداً ، فمعنى كل ذلك جلياً أن هذه الأجيال والقرون السابقة تتعلق بالفعل بتلك الأطوار الحياتية السابقة لأرضنا مما أهلكت وأبيدت عند موتها واحدة تلو الأخرى .

ومما ينبغي أن يخطر على البال هنا أنه مثلما أردنا بـ ( القرن ) المخلوق بأسره مما يقطن في أرض واحدة ضمن الكلام الأول (البعث الإسلامي ، يناير ٢٠١٣م ، ص : ١٩) إزاء الكون ، كذا يمكننا أن نستنتج في هذا المقام أن هذا المصطلح عندما يستخدم في سياق الأطوار الحياتية المختلفة لأرض يسع مدلوله تمام سلسلة من المخلوق في طور واحد حي لها ، والتوجيه الحالي بنفسه من هذا القبيل ، وإليكم في هذا الباب مزيداً من الآيتين التاليتين ما يؤكد ما أخذنا من كلمة ( القرن ) من المفهوم ويزيد التوجيه الحالي قوة وتوثيقاً :

٥- ( أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى . وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) طه : ١٢٨- ١٢٩

يبدو من كلمة ( لهم ) في هذا الكلام الإلهي أنه خطاب موجه إلى طبقة المنكرين الحالية بشكل عام بصيغة الغائب ، وكذلك يظهر من

هذا التعبير القرآني أن ضمير الجمع في ( يمشون ) يعود إلى نفس ضمير الجمع في ( لهم ) ، وإنما الخطاب بات مختصاً بطبقة المنكرين من القرن الإنساني الحالي بما في ذلك من وعيد ، وإلا فالخطاب يتضمن المؤمنين أيضاً لأنهم كانوا بأنفسهم شاملين مع من يمشون في مساكن القرون السابقة ، فهذا التعبير العام يشير إلى أن هذه القرون والأجيال السابقة التي نمشي الآن في مساكنها ليست إلا مخلوقات قد أسكنت وأهلكت في الأطوار الحية السابقة لهذه الأرض ، ولذلك يوجه في الآية اللاحقة الوعيد إلينا أيضاً بأنه لولا أجل مسمىً لهلاكنا لكانت الإبادة والهلاك حلت بنا مثل هؤلاء المنكرين .

٦- ( ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزي القوم المجرمين . ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعلمون ) ( يونس : ١٣- ١٤ )

في هذه الآيات تشير كلمتا ( قبلكم ) و ( جعلناكم ) إلى أن الخطاب هنا أيضاً كالسابق عام ، مما يدل على مزيد من المراد من بيان جعل القرن الإنساني المعاصر يمشي في مساكن القرون السابقة في هذا الطور الجاري من الأرض وهو أنه جعل خليفةً فيها يستخبر ويمتحن من بعد إبادة تلك القرون السابقة بقليل ، وليعلم هنا أن ( ثم ) يفيد إلى جانب الترتيب معنى التراخي أيضاً ، أي أنه يخبر بما بين الفعلين من البعد زمناً ، فالمباحث الآتية ستثبت أنه قد يكون بين القرنين من الأرض – أو بتعبير آخر – بين حياتي الأرض من فترة طويلة من الزمن ، وعلم الأفلاك هذا الحديث أيضاً موضح لهذه الظاهرة الربانية إلى حد كبير ، هكذا يكون البيان الحالي مفسراً للبيان السابق .

( للحديث صلة )

# نظريات الترجمة الحديثة للقرآن الكريم

( الحلقة الثالثة الأخيرة )

بقلم د . محمد شاهجهان الندوي*

٣ - الإنجاز المهم الآخر جاء من الفلسفة ، و تضافرت هذه التطورات مع تطورات أخرى في علم اللغة . نستطيع أن نقول : إن الحاجز الأساسي أمام إيجاد دراسة خاصة في الترجمة كانت تكمن في رفض النحويين التقليديين الخروج عن مستوى الجملة رفضاً قاطعاً ، وكما قلنا فإن هذا الرفض أدى إلى طرد المعنى من سياق الدراسات اللغوية ، ثم ما لبثت الأمور أن تحلحلت شيئا فشيأ كما ذكرت ، إلى أن وصل الأمر إلى الخروج كليا إلى ما وراء الجملة ، وإيجاد ما يمسى بعلم النص (text linguistics) (لسانيات النص ) حيث ظهر " ديبوغراند ودريسلر" وحددا سبع قواعد رئيسية للنص، وهي مذكورة في كتابهما (Introduction to Text Lingusitics) . وفي نفس الفترة بدأ البحث الكبير عن كل قاعدة منها ، فجاء كتاب " هاليدي وحسن " عن التماسك اللفظي ، وجاء المزيد من الكتب عن نواح أخرى . و ظهرت أيضا نظرية (speech acts) (أعمال خطاب) ، وظهرت أيضا (Felicity Conditions) (شروط فيليسيتي )، وكلها تصب في الإجابة عن سؤال المترجم الأساسي : " أين هو المعنى الذي يجب علي أن أترجمه ؟ " .

وعلى أية حالة ، لخص " حاتم ومايسون " في كتابهما ( discourse and the translator) ( الخطاب والمترجم ) نظريات التكافؤ في نظريتهما المشتركة عن الترجمة حيث حددا المحاور التالية : communicative action (Speech Acts) + semiotic ( الواقعية ) + pragmatic transaction (register theory) ( (المعاملة التواصلية (تسجيل نظرية) interaction (intertextuality) action (العمل (خطاب الأفعال) + التفاعل السيميائي (التناص) عمل ) ، فربطا اللهجة الخاصة (register) (سجل) بمحاورها الفرعية tenor field,mode and (فحوى ، حقل ، طريقة) ، مع (speech acts) (أعمال خطاب ) بمحاورها + locutionary illocutionary perlocutionary ، مع علم الدلالة أو الرموز من خلال (intertextuality) (التناص) . و جاء أيضا " ديل هايمز " ليحدد لنا بعض النقاط الرئيسية في

* عميد كلية القرآن ، الجامعة الإسلامية ، شانتابرم ، مالابرم ، كيرالا ، الهند .

تحديد الخطاب ، وقام أكرم سعد الدين بتعديلها بما يناسب الترجمة في ما أسماه " النظرية اللغوية العرقية في الترجمة " على أية حال ، أود أن أقول بأنه على باحث الترجمة عند النظر في نظرية التكافؤ، اللجوء إلى أي علم آخر ، وعلى الأخص الفلسفة والأنثربولوجيا (Anthropology: علم الإنسان ) وغيرها .

**نظريات الترجمة الفلسفية :**

يفيد " شتاينر " (George Steiner) من التراث الهرمنيوطيقي الألماني في كتابه الموسوم " ما بعد بابل" الصادر في ١٩٧٥م ، و هو عبارة عن وصف هائل للترجمة الأدبية ، و الذي جعل الترجمة في حينه محط اهتمام العديد من غير المختصين . و تتفحص "حركته الهرمنيوطيقية " تفسير المعنى . و تؤكد ترجمات " عزرا باوند " (Ezra Pound) و نقوده الطريقة التي تستطيع بها اللغة أن تنشط نصا ما من خلال الترجمة، بينما تتحدث دراسة " وولتر بنجامن " ( Walter Benjamin) الموسومة " مهمة المترجم " (The Task of the Translator) بكثافة و شاعرية حول إطلاق لغة " نقية " من خلال الترجمة " الحرفية ". و أخيرا يقوض " دريدا " (Derrida) بعض يقينيات الترجمة بما فيها التعارض بين لغة المصدر و لغة الهدف ، و ثبوتية العلامة اللغوية . و يثير هذا التدقيق لمبادئ نظرية الترجمة اللغوية قضايا تتعلق بنظام جديد لدراسات الترجمة .

**نظريات النُظم المتعددة :**

تنقل نظرية النُظم المتعددة لصاحبها " إيفن زوهار " دراسة الترجمات من حالة التحليل اللغوي (Linguistic analysis) الجامدة للتغييرات و الهوس (Quirk) بالتكافؤ إلى تقصي موقع الأدب المترجم ككل ، ضمن الأنظمة التاريخية و الأدبية لثقافة الهدف . و يركز " توري " من بعده الانتباه على إيجاد منهجية لدراسات الترجمة الوصفية . و يدمج إطاره النظري الموجه نحو نص الهدف : المقارنة اللغوية لنصي المصدر و الهدف مع اعتبار الإطار الثقافي لنص الهدف . و هدفه هو تحديد انسياق السلوك في الترجمة ، وبعد ذلك محاولة " إعادة بناء " ، الأعراف الفاعلة في عملية الترجمة . و الهدف النهائي لدراسات الترجمة الوصفية هو اكتشاف القوانين الاحتمالية للترجمة ، التي قد تستخدم لمساعدة مترجمي و باحثي المستقبل . و يبقى هناك عملية تحديد شكل مقارنة نصي الأصل و الهدف، و قاد باحثو مدرسة التعاطي مزيجا متفاعلا من النماذج النظرية و حالات دراسة في مطلع الثمانينيات ، و من بينها مخطط " لامبرت " و " فان غورب " النظامي لوصف الترجمات . و طور " جسترمان " أيضا فيما بعد مفهوم الأعراف .

**نظريات الترجمة الوظيفية :**

نقلت نظريات الترجمة الوظيفية و التواصلية التي تم تطويرها في " ألمانيا " في السبعينيات و الثمانينيات من القرن الماضي ، الترجمة من كونها ظاهرة لغوية جامدة إلى عدّها فعلا من أفعال التواصل البيثقافي (Intercultural) . و يربط عمل " رايس " (Reiss) الأساسي وظيفة اللغة و نوع النص و الجنس بإستراتيجية الترجمة . و أدمج منهج " رايس " لاحقا بنظرية الهدف (Skopos theory) المؤثرة جدا لصاحبها " فيرمير " (Vermeer) حيث تتقرر استراتيجية (Strategy) الترجمة بواسطة وظيفة النص الهدف في ثقافة الهدف . و نظرية الهدف هي جزء من نموذج الفعل الترجمي ( translational action) الذي اقترحته " هولز مانتاري " (Holz-Mänttäri) والذي يضع الترجمة التجارية المهنية ضمن سياق اجتماعي ثقافي ، مستعملا مصطلحات العمل و الإدارة . و ينظر للترجمة بوصفها صفقة تواصلية ( Communicative deal) تشتمل على المنشئ و المفوض و المنتجين و المستخدمين و مستلمي نصي الأصل و الهدف . و في هذا النموذج ، ينزل نص المصدر عن عرشه ، و تقيم الترجمة ليس عن طريق تكافؤ المعنى بل عن طريق كفايتها طبقا لهدف موقف نص الهدف كما يعرفه التفويض . و يبقي نموذج " نورد " (Nord) المصمم لتدريب المترجمين على السياق الوظيفي لكنه يُضمن نموذجا لتحليل نص المصدر أكثر شمولية .

**النظريات اللغوية :**

شهدت خمسينيات القرن العشرين و ستينياته ظهور محاولات في التصانيف الموسعة للتغييرات اللغوية الصغيرة changes, shifts (التحولات) بين الأزواج اللغوية . و يستمر تصنيف " فني و داربلنيه " (Vinay & Darbelnet) الكلاسي في إحداث التأثير لحد اليوم ، وكان مفيدا في إبراز مدى واسع من تقنيات الترجمة المختلفة . مع ذلك ، وكشأن " كاتفورد " (J.C. Catford) الذي طبق في الستينيات منهجا لسانيا مقارنا (Contrastive Linguistics) بصورة نظامية على الترجمة ، فإن نموذجهما يعد نموذجا لغويا جامدا . إن تشوش حدود الصنف و الحساب الذاتي للتغييرات ، هي مشاكل استمرت بالتأثير على المحاولات اللاحقة مثل محاولة " فان لوفن- زفارتز " (van Leuven-Zwart) الذي يحاول نموذجها أن ينظم تقييم زوج لغوي (لغة مصدر و لغة هدف) و يربط التغييرات بمستويات الخطاب العليا. و يأتينا المدخل الآخر لتحليل التغييرات من " جيكوسلوفاكيا " في الستينيات و السبعينيات حيث اعتنى كل من " ليفي "

(Levy) و "بوبوفتش" (Popovič) و "مايكو" (Miko) عناية بالغة بترجمة الأسلوب.

**نظرية الترجمة قبل القرن العشرين :**

تمركز الكثير من نظرية الترجمة منذ "شيشرو" (Cicero) و إلى القرن العشرين حول الجدل المتكرر و العقيم، فيما إذا كان يجب أن تكون الترجمات حرفية (كلمة بكلمة : Word for Word) ، أو حرة (معنى بمعنى : Sense for Sense) ، و هذه ثنائية ناقشها بصورة معروفة "القديس (Saint) جيروم" (Saint Jerome) في ترجمته للكتاب المقدس إلى اللاتينية. و كان الجدل حول ترجمة الكتاب المقدس و كتب دينية أخرى مركزيا بالنسبة إلى نظرية الترجمة لأكثر من ألف عام. لقد كان المنظرون الأوائل مترجمين قدموا تبريرا لمنهجهم من خلال مقدمة للترجمة ، و عادة ما اهتموا قليلا (أو لم يستطيعوا الوصول) لما قاله آخرون سبقوهم. و على كل حال ، فقد ظلت نظرية الترجمة حتى نهايات القرن العشرين تدور بين ثنائية (Dualism) : الترجمة الحرفية أي كلمة بكلمة ، والترجمة الحرة أي معنى بمعنى.

حتى جاءت الثلاثية التي اقترحها "درايدن" (Dryden) والتي أثرت في أواخر القرن السابع عشر في بداية تعريف للترجمة أكثر نظامية و دقة، وهي : الحرفية (metaphrase) بمعنى ترجمة كلمة بكلمة وسطر بسطر، والنقل بتصرف (paraphrase) إذ يهتدي المترجم بالمؤلف في نقل المعنى ، بيد أنه لا يلتزم بألفاظه تماماً ، والمحاكاة (imitation) أي عدم التقيد باللفظ ولا بالمعنى ، بل إعادة الصياغة أو الاستلهام. وهذه الثلاثية تمثل بدايات الدراسة المنهجية في الترجمة. بينما كان لاحترام "شليرماخر" (Schleiermacher) للنص الأجنبي تأثير مهم على الباحثين في الأزمان الحديثة.

و بالجملة ، فإن هذه النظريات للترجمة قد تخطت بدءاً من النصف الثاني في القرن العشرين مجرد الكلام عن الترجمة الحرفية أو الترجمة الأمينة أو الترجمة الحرة ، إلى ما يعرف بنظريات الترجمة الحديثة مثل نظرية التكافؤ، والنظرية الدلالية ونظرية النص ، والنظرية التداولية ، والوظيفية ، ولكل من تلك النظريات أسس ومبادئ علمية وطرق منهجية مؤصلة.[1]

ونظرية النص هي النظرية التي تعتمد النص اللغوي أصلاً في الترجمة.

---

[1] ( قارن نظريات الترجمة في :

[2] Stolze, Radegundis: Ubersetzungstheorien. Eine Einführung, 3 (aktualisierte Aufl., Tübingen: Narr 2001; s: ff

ومع أن هذه النظرية الحديثة تستقي رؤيتها من عناصر أخرى خارج النص ، إلا أنها تركز اهتمامها على النص ومقابله في اللغة ، الهدف ، وترى هذه النظرية في الترجمة إنشاءً لنوع من العلاقة بين لغة المصدر ولغة الهدف ، ليس على مستوى الكلمة والجملة فحسب ، وإنما على المستوى الأكبر وهو النص .[1]

ولمصطلح ((أنماط النصوص)) (Textsorten) دور أساسي في هذه النظرية ، إذ تختلف طريقة الترجمة وهدفها طبقاً لنوع ونمط النص المراد ترجمته ، فالنصوص الإخبارية (informative Texte) تختلف عن النصوص التعبيرية (expressive Texte) أو النصوص الداعية إلى العمل ( appellative Texte) في عملية الترجمة . فالنصوص التعبيرية مثلاً تدل بالدرجة الأولى على موقف المتكلم أو المرسل ، ومن ثم فإن الجانب اللغوي الشكلي والبعد الجمالي فيه يلعب دوراً محورياً ، وخير مثال على هذا النمط من النصوص هي النصوص الأدبية الشعرية . كذلك فإن النصوص الداعية إلى العمل والمحفزة على شيء ما كالخطب والإعلانات مثلاً ، يكون تركيز الترجمة فيها على إيجاد الأثر المناسب في نفسية القارئ أو المتلقي ؛ ليتحقق الهدف المنشود في النص ، أما النصوص الإخبارية مثل التقارير والوثائق فيكون التركيز في الترجمة على المضمون . ومن ثم فعلى المترجم أن يتبع أسلوباً نثرياً بسيطاً قائماً على المنطق ومركزاً على حقائق النص أكثر من جمالياته ، كذلك هناك النصوص الوسائطية مثل الأفلام والمسرحيات وهي النصوص المرتبطة التي ترتبط بصور بصرية أو سمعية ، وتكون ترجمتها بما يناسب حال المتلقي وأثرها فيه في لغته وحضارته .

وتعد الألمانية " كاترينا رايس " (Katharina Reis) من أعلام هذه النظرية ، وقد ارتكزت في نظريتها على تقسيمات عالم اللغة الألماني " كارل بولر " (Karl Bühler) التي استقاها بدوره من كتابات أفلاطون القديمة في " كراتيلوس " (Kratylos) . وقد وجه نقد لهذه النظرية باعتبار أنه غالباً ما تتداخل الأنماط والوظائف اللغوية المختلفة في النص الواحد ، لكن هذا لا يمنع

---

[1] ( قارن النظريات القائمة على اعتماد النص في الترجمة عند:
Stolze, Radegundis: Ubersetzungstheorien. Eine Einführung, 3. (aktualisierte Aufl., Tübingen: Narr 2001, S. 93-161

٢ - ( نفس المرجع ، ص ١٢٠ وما بعدها ) .

٣ - ( محمد عناني ، نظرية الترجمة الحديثة ص ١١٤ وما بعدها ) .

أن التركيز يكون غالباً على جانب معين في النص وعلى الوظيفة المهيمنة داخله .

وهناك نظرية قريبة من نظرية النص ، وهي النظرية الوظيفية في علم الترجمة ، ومن رواد هذه النظرية في المدرسة الألمانية " هانز فيرمير " ( Hans Vermeer) الذي أصّل مع " كاترينا رايس " لمصطلح الهدف أو المغزى في الترجمة (Skopos) ، وتقوم هذه النظرية على اعتبار أن الغرض من الترجمة هو الذي يحدد استراتيجيات الترجمة وطرائقها ، فجوهر عملية الترجمة ينبغي أن تبنى على أساس وظيفة النص في اللغة المصدر ، وإمكانية نقل تلك الوظيفة في اللغة الهدف ، وترى هذه النظرية أنه يجب أن يكون النص بعد ترجمته في اللغة الهدف متماسك الدلالة لغوياً وحضارياً ، وقد وضع " هانز فيرمير " [1] نظريته لتكون نظرية عامة يمكن تطبيقها على جميع النصوص ، وتقوم رؤية " فيرمير " على قواعد خمس مرتبة حسب الأولويات ، كما لخصها محمد عناني في كتابه " نظرية الترجمة الحديثة " باللغة العربية :

( ١ ) طبيعة النص المترجَم يحددها الغرض منه (Skopos) .

( ٢ ) يعدُّ النص المستهدف " عرضاً للمعلومات " (Informationsangebot) في الثقافة المستهدفة وباللغة المستهدفة بخصوص " عرض آخر للمعلومات " في ثقافة المصدر وبلغة المصدر .

( ٣ ) لا يعدُّ النص المترجم مُنْشئاً " لعرض للمعلومات " يمكن إرجاعه بوضوح إلى شي آخر .

( ٤ ) يجب أن يتحلى النص المستهدف بالتماسك والاتساق الداخلي .

( ٥ ) يجب أن يكون النص المستهدف متسقاً مع النص المصدر .

**مصداقية النظريات الحديثة للترجمة في ترجمة الشيخ عبد القادر الدهلوي :**

المترجم الشيخ عبد القادر الدهلوي – رحمه الله تعالى – فرق بين الوظائف المختلفة للنصوص القرآنية ، و حدد على أساسها طريقته في الترجمة ، و ذلك أن النص القرآني و هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد – صلى الله عليه و سلم – يحتوي على نصوص متنوعة ذات وظائف مختلفة ، فمنها ما يركز على الجانب الإخباري أو التعبيري ، و منها نصوص داعية و محفزة على شيء ما ، و بما أنه ليست ثمة وظيفة من تلك الوظائف يمكن أن تظهر بمعزل عن الوظائف الأخرى ، و من ثم تحرى الشيخ المترجم الوظيفة المهيمنة على النص القرآني ، ليبني عليها طريقته في الترجمة .

---

[1] Vermeer, Hans J. Skizzen zu einer Geschichte der Translation. Bd. 1 und ( 2 (translatorisches handel wissenschaft), Frankfurt a.M. 1992

و من براعة المترجم أنه راعى الوظيفة الجمالية أيضا ، التي قال بها " ياكبسون " (Jakobson) فيما بعد .

و لا يخفى على المتبصر أن الوظيفة المحفزة و الإخبارية تهيمن على معظم النص القرآني ؛ لأن الله - عز و جل – يخبر عباده في القرآن المجيد بما كان و ما يكون ، ليحفزهم للعمل الصالح و يحذرهم من سوء العمل ، لينالوا الجنة برحمته يوم القيامة .

و على سبيل المثال : تتجلى هذه الوظيفة في النص القرآني في آيات الوعد والوعيد و آيات القصص القرآني ، كما تظهر الوظيفة الجمالية للغة في آيات القرآن المكية ، و بالأخص في آيات الإيقاع اللفظي و المعنوي.

و لعل الخبير يدرك أن تقسيم ابن خلدون لنصوص القرآن ، و قوله بتنوع أساليب القرآن ، من حيث الأسلوب الخطابي و الجدلي و الفلسفي داخل النص القرآني ، قريب من تقسيم النص القرآني وفق الوظيفة اللغوية.

و لنأخذ ترجمة سورة الإخلاص كمثال عملي على مصداقيتها لنظرية النص

قد ترجم الشيخ ( تو کہہ وہ اللہ ایک ہے' اللہ نرادہا رہے' نہ کسی کو جنا اور نہ کسی سی جنا' اور نہ ہی اس کی جوڑ کا کوئی )

و قد اخترت هذه السورة لمنزلتها من القرآن الكريم ولقصرها وعمق معانيها ودقة مدلولاتها ، وأنها احتوت - في رأينا - على الوظائف اللغوية المتنوعة الإخبارية والتعبيرية الجمالية والمحفزة ، وهو الشاهد في الموضوع، فكونها إخبارية من حيث إنها تخبر في متنها عن وحدانية الله وكمال صفاته تعالى ، وكون الوظيفة هنا تعبيرية جمالية يظهر في جمال اللغة ومناسبة اللفظة والمقومات البديعية الأخرى ، مثل : اتحاد نهايات الآيات بحرف الدال وقلقلة الحرف عند الوقف ، وما يحدثه من أثر في نفسية المتلقي ، وكذلك تظهر الوظيفة المحفزة من خلال رسالة الله تعالى للمتلقي أن يوحده وألا يجعل لله شريكاً ولا يتخذ من دونه ولداً ولا نداً ؛ فإنه المرجع و المقصود في جميع الحوائج على الدوام ، و ليس له أحد يساويه ، ولا يماثله ، ولا يشاركه في شيء ، و ليس له صاحبة ، ولا ولد.

و لو حاولنا أن نختبر ترجمة هذه الوظائف في ترجمة الشيخ الدهلوي في ضوء نظرية النص لوجدنا أنه ترجم الوظيفة الإخبارية بتوصيل المضمون عن طريق العرض الموضوعي الجميل ، كما تتجلى في ترجمته الوظيفة المحفزة ، تتجلى كذلك الوظيفة التعبيرية الجمالية ؛ فقد أدرك المترجم أن الرمز اللغوي ذاته – أي جمالية اللفظ – هو جزء من المعنى عند ما يتعلق الأمر بالجانب

التعبيري للغة .

و لنأخذ ترجمة ثلاث آيات من سورة العنكبوت كمثال عملي ثان على مصداقيتها لنظرية النص . و تلك الآيات كما يلي :

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) [1] و ترجمها الشيخ الدهلوي كما يلي :

( کہاوت ان کی، جنہوں نے پکڑے اللہ کو چھوڑ کر اور حمایتی، کہاوت مکڑی کی، بنالیا اس نے گھر، اور سب گھروں میں بودا، سو مکڑی کا گھر، اگر ان کو سمجھ ہوتی، اللہ جانتا ہے، جس کو پکارتے ہیں اس کے سوا، کوئی چیز ہو، اور وہ زبردست ہے حکمتوں والا، اور یہ کہاوتیں بٹھاتے ہیں ہم لوگوں کے واسطے، اور ان کو بوجھتے وہی ہیں جن کو سمجھ ہے )

فقد ترجم المترجم الماهر الوظيفة الإخبارية بتوصيل المضمون عن طريق العرض الموضوعي الجيد ، كما تتجلى في ترجمته الوظيفة المحفزة، بحيث حث عن طريق نقل رسالة الله تعالى للمتلقين على أن يوحدوه وألا يجعلوا لله شركاء، فلآلهة المتخذة من دون الله لا تفيدهم ، ولا تدفع عنهم سوءا ، ولا تجديهم شيئا ، وتصبح أعمالهم للأوثان مبددة ذاهبة الأثر ، فصفتهم كصفة العنكبوت في ضعفها اتخذت لنفسها بيتا يقيها الأذى والحر والبرد ، فلم يفدها شيئا ، وإذا هبت ريح يصير هباء منثورا ، فأضعف البيوت بيت العنكبوت ؛ لأنه يخرب بأدنى شيء ، ولا يبقى منه أثر . كما حفزهم إلى تدبر حقيقة الأمثال حتى يتضح لهم الحق، و يظهر لهم عدم نفع الأصنام المتخذة آلهة لعابديها .

و تتجلى كذلك الوظيفة التعبيرية الجمالية في نقل تشبيه حال الكفار في عبادتهم الأصنام للنصر والرزق والنفع ، والتمسك بهم في الشدائد ، بحال العنكبوت في بنائها بيتا ضعيف النسج قابلا للاختراق والزوال بنفخة هواء ، بلغة سهلة جميلة رائعة ، كما تتجلى في محاولة جادة لنقل ما يحدثه النص القرآني من أثر في نفسية المتلقي بلغة أخاذة .

و لأي مترجم أن يستفيد من نظرية النص ، و يجتهد في ترجمته بما يراه يتناسب و نوعية النص ، مع الاحتفاظ بخصوصية الرسالة الإلهية للنص القرآني، فالترجمة أو التفسير ليست لهما درجة القدسية مثل النص القرآني في أصله العربي .

٢ – تتجلى مصداقية النظرية الوظيفية في ترجمة الشيخ كذلك ، فقد

[1] [ ٢٩ / العنكبوت : ٤١ – ٤٣ ] .

حاول المترجم البارع الوصول إلى القارئ و المتلقي الهندي في لغته ، لتقريب المعنى القرآني و الرسالة الإلهية باللغة و الطريقة المتناسبة .

و يمكن لأي مترجم أن يستفيد من هذه النظرية ، فينظر إلى الوظيفة والغرض (Skopos) من النص القرآني ، و يحاول نقلهما إلى اللغة الهدف ، و يخاطب المتلقين في فكرهم قبل لغتهم ، بما لا يتعارض و أصول القرآن ، و يترك الدقائق ليحددها إمكان النقل في كل لغة حسب ما تقتضيه اللغة الهدف، فإن كان التعبير بالأردية أو الملیبارية يوفي جميع هذه الدقائق الأسلوبية فبها و نعمت ، و إلا فينصرف المترجم إلى نقل الرسالة القرآنية ، و المعنى الجميل ، و الأثر الطيب لكلام الله تعالى في اللغة الهدف ، ليتحقق في النص المترجم جودة النص و فعاليته و ملاءمته للمقام ، و هي العناصر التي تحدد معايير الحكم على النص في علم لغة النص الحديث .

و على كل حال ، فالمترجم مهما أوتي من ملكة و مهارة ، فإنه لن يستطيع أن يوصل كل ما في القرآن من لغة و معنى و أثر ، للمتلقي في اللغة الهدف ، و ذلك أن النص القرآني يحمل من خصائص لغوية و أسلوبية من تقديم و تأخير و مؤثرات صوتية و بلاغية و دقائق و فروع ، لم و لن يصل إليها مجتمعة أي مترجم ، و هذه حكمة الله التي أرادها لكتابه ، لكي يبقى معجزا في مبناه و معناه .

و لا شك أن الخصائص اللغوية و الأسلوبية أمور تختلف من اللغة العربية إلى غيرها من اللغات كاللغة الأردية مثلا .

فعلى المترجم أن يسأل نفسه قبل الترجمة : لماذا أترجم ؟ و لمن أترجم ؟ و ما هي وظيفة النص المترجم في لغة المصدر ؟ و كيف يمكن توصيلها في اللغة الهدف ؟

و المترجم البارع الشيخ عبد القادر ترجم القرآن الكريم بالهندية بعبارة سهلة لتوصيل الرسالة الإلهية إلى الناس ، و من هنا ركز في ترجمته على احتياجات المتلقين ، ليستوعبوا و يدركوا الرسالة الموجهة إليهم ، كما أنه ركز على الجانب و البعد التداولي (Die Pragmalinguistik) مع التركيز على الجانب النحوي (Syntax ) و المعنوي (Semantik) .

و لنأخذ ترجمة الآية الأولى و الثانية من سورة التكاثر مثالا على ذلك ، فقد ترجم كالتالي :

(غفلت میں رکھا تم کو بہتات کی حرص نے جب تک جا دیکھیں قبریں)

فالشاهد هنا هو ترجمة الآية الثانية (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) و المعنى هنا هو " حتى أدرككم الموت ، وأنتم على تلك الحال " ، فأشار المترجم إلى هذا

المعنى التداولي ، و لم يبق المعنى في الترجمة " (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)، كأن يزور الإنسان المقبرة و يعود " ، و هكذا حافظ على وظيفة النص التعبيرية ، فجاءت ترجمته محافظة على المعنى التداولي للنص في ضوء النظرية الوظيفية في الترجمة ، مع إحداث نفس الأثر في نفسية القارئ الهندي الذي أراده الله بالنص القرآني العربي من الخوف بالآخرة و العمل لها ، و الانزجار من التكاثر المقيت المفضي إلى التقاطع والأحقاد والضغائن .

ولنأخذ مثالا ثانيا على ذلك ، من ترجمة أربع آيات من سورة هود ، و هي كما يلي :

(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ . وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) .[1]

فقد ترجمها كالتالي: (سو کیوں نہ ہوئے ان سنگتوں میں تم سے پہلے کوئی لوگ جن میں اثر رہا ہو، کہ منع کرے بگاڑ کرنے سے ملک میں، مگر تھوڑے سے جو ہم نے بچا لئے ان میں سے، اور چلے وہ لوگ جو ظالم تھے اسی راہ جس میں عیش پایا، اور تھے گنہگار، اور تیرا رب ایسا نہیں کہ ہلاک کرے بستیوں کو زبردستی اور لوگ وہاں کے نیک ہوں، اور اگر چاہتا تیرا رب کر ڈالتا لوگوں کو ایک راہ پر، اور ہمیشہ رہتے ہیں اختلاف میں، مگر جن پر رحم کیا تیرے رب نے، اور اسی واسطے ان کو پیدا کیا، اور پورا ہوا لفظ تیرے رب کا کہ البتہ بھر دوں گا دوزخ جنوں سے اور آدمیوں اکٹھے).

فقد نقل المترجم البارع الرسالة القرآنية ، و المعنى الجميل ، و الأثر الطيب لكلام الله تعالى في اللغة الهدف بعبارة سهلة ، و هكذا حافظ على وظيفة النص التعبيرية ، فجاءت ترجمته محافظة على المعنى التداولي للنص في ضوء النظرية الوظيفية في الترجمة ، مع إحداث نفس الأثر في نفسية القارئ الهندي الذي أراده الله بالنص القرآني العربي من شعور أولي عقل و بصيرة بمسؤولية النهي عن الفساد ، مهما كان صنيع المجرمين من الاستمرار على المنكرات و الاشتغال بالشهوات ، فالله مجاز كلا ما يستحقون .

و ملخص القول أن ترجمة الشيخ عبد القادر الدهلوي راعت نفسية الهنود في تذوق الفن و اللغة و الأدب ، و خاطبت عقليتهم ، و حاولت توصيل الرسالة

[1] [ ١١ / هود : ١١٦ – ١١٩ ].

الإلهية إليهم ، و صبغت أذهانهم بصبغة قرآنية ، و أحدثت الأثر الذي يرمي إليه النص القرآني العربي .

**خاتمة البحث :**

في نهاية المطاف يجدر بي أن أسجل أهم النتائج ( Most important results ) التي توصلت إليها خلال هذا البحث ، و هي كما يأتي :

١ – تاريخ الأمة الإسلامية الهندية مدين لأسرة الشيخ ولي الله الدهلوي السعيدة ، لقيامها بحركة الرجوع بالناس إلى الكتاب و السنة .

٢ – ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية مهمة جدا ؛ فإنها تلعب دورا عظيما فعالا في تقريب غير المسلمين إلى الإسلام .

٣ – بدئت ترجمة معاني القرآن الكريم بشكل جزئي ، في عهد النبي – صلى الله عليه و سلم – ، و استمرت إلى يومنا هذا .

٤ – ترجم الشيخ ولي الله ، القرآن إلى الفارسية ، وسمى ترجمته " فتح الرحمن في ترجمة القرآن " .

٥ – أول من وفق للترجمة الكاملة للقرآن الكريم بالهندية الفصحى هو : الشيخ الإمام العالم الكبير العارف عبد القادر الولد الثالث للإمام ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي ( ت : ١٢٣٠ هـ ) ، و التي تمت سنة ١٢٠٥ هـ – ١٧٩٠ م ، و التي سماها " موضح قرآن " بالاسم التاريخي ، و هي ترجمة فنية غائية تفسيرية حرة .

٦ – ترجمة الشيخ عبد القادرترجمة رائعة أخاذة خلابة مرتجلة قوية ، حتى جعلها علماء الهند ترجمة إلهامية .

٧ – ترجمة الشيخ عبد القادر تنفر من جميع أنواع الشرك ، و تعمق حب الله تعالى و وحدانيته في قلوب قارئيها .

٨ – تتجلى مصداقية نظرية النص في ترجمة الشيخ عبد القادر ، فقد ترجم الوظيفة الإخبارية بتوصيل المضمون عن طريق العرض الموضوعي الجميل ، كما اعتنى في ترجمته بالوظيفة المحفزة ، و بالوظيفة التعبيرية الجمالية .

٩ – لأي مترجم أن يستفيد من نظرية النص ، و يجتهد في ترجمته بما يراه يتناسب و نوعية النص ، مع الاحتفاظ بخصوصية الرسالة الإلهية للنص القرآني .

١٠ – نظر المترجم البارع الشيخ عبد القادر إلى الوظيفة و الغرض (Skopos) من النص القرآني ، و حاول نقلهما إلى اللغة الهدف .

١١ - يمكن لأي مترجم أن يستفيد من النظرية الوظيفية في ترجمته ، ويحاول لتقريب المعنى القرآني و الرسالة الإلهية باللغة السهلة الجميلة والطريقة المتناسبة .

**التوصيات و المقترحات :**

١ - اعتناء الأمة الإسلامية بترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم ؛ لأن الترجمة تلعب دورا كبيرا في تقريب غير المسلمين إلى الإسلام.

٢ – إيجاد المترجمين المسلمين البارعين في كل لغة من لغات العالم ، حتى لا تتيسر لأعداء الإسلام فرصة التحريف و التأويل الباطل باسم الترجمة أو التفسير.

٣ – الاعتناء من قبل المترجمين بتصدير ترجمة كل سورة بمقدمة تعرض في شكل نقاط محددة للفكرة العامة للسورة ، و ما يتعلق بها من سياق وسبب النزول .

٤ – اهتمام المترجمين باستخدام لغة سهلة جميلة في ترجماتهم ، والاستفادة من النظريات الحديثة للترجمة بقدر الإمكان لتوصيل الرسالة الإلهية إلى الناس بلغة معاصرة .

٥ – الاعتناء بطباعة و نشر " موضح قرآن " للشيخ عبد القادر الدهلوي في صورته الحقيقية ، فما زالت حيويته و روعته باقية .

**فهرس المصادر و المراجع :**

١ – القرآن الكريم .

٢ - د . أحمد خان بن علي محمد ، " تاريخ تطور ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية : مع ببليوغرافية الترجمات الكاملة والمنشورة لمعاني القرآن الكريم " ، بحث مقدم في ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم : تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل، المنعقدة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عام ١٤٢٣هـ .

٣ - د . الأعظمي ، ضياء الرحمن ، فصول في أديان الهند ، دار البخاري للنشر و التوزيع ، ١٤١٧ هـ .

٤ - أكمل الدين إحسان أوغلو ، الببليوجرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم ، الترجمات المطبوعة:١٥١٥- ١٩٨٠، مركز البحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإصطنبول ، ١٩٨٦م .

٥ - البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، أبو عبد الله (ت : ٢٥٦ هـ ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، ط : ١ ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ .
٦ - السرخسي محمد بن أبي سهل ، المبسوط ، ط : ١ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .
٧ - عبد الحي الحسني ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ط : ١، بيروت، دار ابن حزم ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
٨ - د. عناني ، نظرية الترجمة الحديثة ، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، الشركة المصرية العالمية، لونجمان ، مصر، ٢٠٠٣ .
٩ - د . محمد بشير ، رسالته : عن ترجمات القرآن و تفاسيره ، جامعة كاليكوت كيرالا ، الهند ، ١٩٩٦ م .
١٠ - محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة بيروت ، دار الإرشاد ، ١٩٧٩م .
١١ - محمد حميد الله ، " فهم القرآن لمن لا ينطق بلغة الضاد " ، بحث مقدم في الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم ، إصطنبول ، ١٩٨٦م .
١٢ - د. محمد شاهين ، نظريات الترجمة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٩٩٨ .
١٣ - محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ط : ٣ ، عيسى البابي الحلبي .
١٤ – المرغيناني ، علي بن أبي بكر ( ٥٩٣ هـ )، الهداية، بيروت، داراحياء التراث العربي .
١٥ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المعروف بصحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
١٦ - د . نايف خرما ، د.علي حجاج ، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٨ .

المراجع الأجنبية :

١٧ - Nord, C. (1997). Translating as a PurposefulActivity. Manchester, St. Jerome Publishing

١٨ - Ibid ,Gilles Siouffi – Don Van Raemdonck, 100fiches pour comprendre la linguistique

١٩ - Stolze, Radegundis: Ubersetzungstheorien. Eine Einführung, 3. aktualisierte Aufl., Tübingen: Narr 2001; s: ff

٢٠ - Vermeer, Hans J. Skizzen zu einer Geschichte der Translation. Bd. 1 und 2 (translatorisches handel wissenschaft), Frankfurt a.M. 1992

الدعوة الإسلامية

# مبادئ خلقية وطرق سلوكية في ضوء القرآن والسنة

بقلم : د . محمد قطب الدين *

ما هي القيم الخلقية ، وطرق سلوكية في الإسلام ؟ وكيف نتعامل مع الناس ذوي ديانات أخرى في ضوء القرآن والسنة النبوية الشريفة؟ وكيف نتعايش تعايشا سلمياً في المجتمعات ذات الثقافات المختلفة المتنوعة ؟ هذه ومثل هذه التساؤلات قد أصبحت اليوم حديث المجالس بين الناس في كل قطر ومصر ، وتتناولها وسائل الإعلام الإلكترونية على شاشة التلفزيون والإذاعة للحوار وتكتب وسائل الإعلام المطبوعة عنها في الصحف والجرائد والمجلات كما أصبح هذا الموضوع اليوم موضوعاً حاراً ورئيسياً للنقاش في المؤتمرات والندوات والسمينارات الوطنية والدولية في البلاد وخارج البلاد على حد سواء ، لأن المجتمع البشري اليوم – على الرغم من تطور الإنسان علمياً ومدنياً في القرن الحادي والعشرين - انحط من داخله ثقافياً وخلقياً ، وخلا من المودة الإنسانية والقيم الخلقية . وهو يتسكع في الظلام في البحث عن سفينة النجاة .

فهذه الدراسة المتواضعة تحاول إبراز بعض من المبادئ والأصول وطرق سلوكية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي ترشدنا إلى حسن المعاملة مع الآخرين و التعايش السلمي في مجتمع ذي ثقافات متنوعة . وكيف ننقذ المجتمع البشري من الشقاوة إلى السعادة ومن الاضطراب إلى الهدوء .

ومما لا ريب فيه أن القرآن كتاب أنزله الله لهداية البشرية وإنجاحها في الدنيا والآخرة . فهو دستورجامع و شامل وقنديل لامع وسراج منير ، يضمن للإنسانية الفوز والفلاح ويدعوها إلى تطبيق المبادئ القرآنية التي تمهد الطريق إلى السعادة الغامرة والسرور الباهر والشعور بالطمأنينة القلبية فالقرآن بنفسه يقول : " ألابذكر الله تطمئن القلوب " [1] .

---

* أستاذ مساعد ، مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي .

[1] سورة الرعد : ٢٨ والذكر المشار إليه في الآية هو القرآن نفسه .

وقبل أن نلقي النظر على طرق التعامل مع الناس من منظور قرآني يجدر بنا أن نستعرض الرؤية القرآنية للحياة الإنسانية للتوصل إلى الأسس التي يبني عليها الدين الإسلامي السلوكيات الإنسانية والتعامل مع الناس.

وهذه الدراسة للرؤية القرآنية للحياة الإنسانية تدلنا على أن الحياة الإنسانية من منظور قرآني اختبار لصاحبها و ينحصر الفوز والفلاح في العمل ، والعمل يتمثل في عبادة الله وحده وإسداء الخير إلى الناس والقيام بما يفيدهم والكف عما يضرهم يقول الله تبارك وتعالى : " خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا " [1] وقال تعالى " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر [2] " وقال تعالى " فأما الزَبدُ فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناسَ فيمكث في الأرض " [3] .

فإذا كانت الحياة منقسمة فيما بين الإنسان وصلته بربه وبين الإنسان وصلته بخير الإنسان ، فإن القرآن يدعو إلى إخلاص العبودية كلها لله وعدم الشرك به في أي شكل كان ، إنه يجعل هذه الصلة صافية طاهرة ، للإنسان علاقة مع ربه يخلص له ويمحض وده له وتذلل نفسه له فلا رب سواه ، ولا إله سواه ، ولا مالك سواه ، وأما ما يتعلق بصلته مع الإنسانية ، فإنها مبنية على أصل قويم وأساس رصين ، ألا وهو البناء وعدم الخراب وإسداء الخير والكف عن الأذى وتقديم الحب والامتناع عن الكراهية ويعني هذا أن التعامل مع الناس من منظور قرآني يحتم التعاون في الخير والمساعدة للإخوة ويحرم جلب أي ضرر إليهم ، وللوصول إلى هذا الأصل العظيم نركز على النقاط التالية .

**العقائد الإسلامية :**

ونعني بها المبادئ التي تأسس عليها شجر الإسلام الصافي وهي تتمحور على الإيمان بالله الذي بيده ملكوت كل شئ ، وهو على كل شئ قدير، وهو يتصرف في الكون كيفما يشاء وهو السميع البصير ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور [4] . والإيمان بأن الله جعل الملائكة مع

---

[1] سورة الملك : ٢
[2] سورة العصر : ١
[3] سورة الرعد : ١٧
[4] سورة الغافر : ١٩

الإنسان يكتبون ما يفعلون ، حيث يقول القرآن "وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ماتفعلون " [1] ، فليس من عمل الإنسان صغيرا كان أو كبيرا إلا وهو مكتوب ، يقول الله تبارك وتعالي " ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها " [2] . وكذلك الإعتقاد بأن الحياة لاتفني بفنائها وإنما ستبدأ حياة سرمدية فيما بعد وتكون حسب ما كانت الأعمال في هذه الدنيا وإن كانت حسنة فالجنة ، وإن كانت سيئة فالنار ، وهذه العقائد الإسلامية كما تحث المسلم المؤمن بالدين الإسلامي على الرجوع إلى الله والإنابة إليه ، كذلك تمنعه من أن يتصرف بسوء مع أحد آخر ، لأن الله يراقبه ولأن الملائكة يكتبون ولأنه مسئول عنه من قبل رب العالمين - وبعد هذه العقائد الإسلامية يأتي الإسلام بالأحكام التي تؤكد على هذاالأصل القويم بالإضافة إلى إصرار الإسلام على التحلي بألأخلاق الفاضلة والقيم العالية .

**الأحكام القرآنية :**

عني الإسلام عناية كبيرة بما نسميه بالسلوك الحسن والتعامل بالعدل و قواه بالأحكام الأصيلة في السلوك والمعاملات ، ففصل في التجارة والزراعة حتى لاتكون الخدعة ولاالمكر ولا السبيل إلى الإضرار وقال النبي صلي الله عليه وسلم " من غشنا فليس منا " [3] ، وقال تعالى ردا على من لا يعدل بالناس" ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون " [4] . وقدم أصلا كبيرا في التعامل مع الناس وأسسه على العدل ، والعدل يعني وضع الشئ في محله وهو ما يضاد الظلم – قال تعالي " ولا يَجرمنّكم شَنَآنُ قوم على أن لاتعدلوا ، إعدلوا ، هو أقرب للتقوى " [5] .

فالتقوى من أهم ما يروم إليه العبد المسلم وهو منوط بالعدل في الإسلام وهذا العدل لا يفرق بين مسلم أو كافر أو زنديق ، والمسلم مطالب بأداء الحقوق إلى أهلها والأمانات إلى صاحبها قال تعالي " أوفوا

---

[1] سورة الانفطار : ١٢
[2] سورة الكهف : ٤٩
[3] رواه مسلم في صحيحه
[4] سورة المطففين : ١
[5] سورة المائدة : ٨

الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولاتبخسو الناس أشياءَهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين " [1] . وهذ العدل يدفع بالإنسان المسلم لكي يخلص في الدعوة إلى الله ولكن هوالذي يمنعه من أن يجبر أحدا على قبول أو يكرهه عليه وقال تعالي " لاإكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي " [2] .

ولايخفى أمر ربعي بن عامر - رضي الله عنه - على الناس ، إذ ذهب إلى رستم وهو في كسوته الملكية وأبهته التي تبهر العقول والأبصار والناس يخضعون له ويكرمونه إكرام العبد لسيده فقال : " إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلي سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " [3] . فالعدل هوالأساس في التعامل مع الناس بل هو من أهم المبادئ الإسلامية والتي يتوق إلى تحقيقها الإسلام .

و نظرW إلى جدية المعاملات والسلوك جاء الإسلام بأحكام تضمن للإنسان سلوكه الحسن وتقويه في الذهاب إليه فأمر القرآن بالكتابة إذا أريد حسم الأمر كما يقولُ الله تبارك وتعالي : " ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ، وليملل الذي عليه الحق ليتق الله ربه ولايبخس منه شيئا . . .إلى آخرالآية [4] .

ومن يتأمل في هذه الآية الكريمة يجد بأنها تؤكد على الحفاظ على المعاملات الإنسانية وأن تكون على أسس ثابتة توطد الصلة وتربطها بالربط الوثيق ، وهي قائمة بالعدل والقسط .

**الأخلاق الإسلامية :**

علاوة على العقائد الإسلامية التي ترسخ المبادئ العالية الهامة في النفوس والأحكام التي تحتم على المسلمين الالتزام بما يجلب النفع ويدفع الضرر ويحقق العدل ، هناك قيم خلقية وطرق سلوكية عني بها الإسلام عناية كبيرة وأراد بها أن يكون مجتمعاً إسلامياً عادلاً صالحاً يتعايش الناس

---

[1] سورة الشعراء : ١٨٣
[2] سورة البقرة : ٢٥٦
[3] البداية والنهاية ، معركة القادسية
[4] سورة البقرة : ٢٨٢

تعايشاً سلمياً بالتلاؤم والتوادد والتراحم فيما بينهم .

وللوقوف على هذه المبادئ الأخلاقية تعال بنا نتأمل النقاط التالية :

إن الله رحيم كريم : إن الإسلام أول مايدعو إليه هو الإيمان بالله الواحد الأحد الذي هويخلق كيفما يشاء ويتصرف في الكون وهو قادر على كل شئ وهومتصف بالرحمة والكرم ورحمته وسعت غضبه وأنه الغفورالرحيم ويوحي هذا الإيمان إلى العبد أن يتخلق بخلق الله فيتبادرإلى التخلق بصفات الرحمة والتوادد .

الرسول رحمة للعالمين : والرسول الذي ختمت به النبوة محمد بن عبدالله صلي الله عليه وسلم لقب بـ " رحمة للعالمين " . و قال فيه رب السموات والأرض " إنك لعلى خلق عظيم " [1] . وقال تعالى " ومأأرسلناك إلا رحمة للعالمين " [2] .

وقال هو بنفسه " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [3] . فالله رحيم كريم ورسوله رحمة للعالمين ، بعث لإكمال مكارم الأخلاق وعاش حياة كلها كرم وأخلاق ونفع ورحمة ، ولقد لقبه حتى أعداؤه في مكة بـ "الصادق والأمين " .

وما أحرز الفوز الباهر إلا لما كان عليه من خلق كريم وصفات عالية وخصائل نبيلة قال الله تعالي " ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك " [4] .

وبعد الخوض في الدراسة العميقة لتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم نلمس أنه أرشد أمته إلى التحلي بهذه الأخلاق الكريمة بماجاء من تعاليم وتأكيدات - وهذه التعاليم الخلقية تعين القيم التي يجب الأخذ بها في التعامل مع الناس ويمكن لنا أن نبينه كما يلي :

١- الالتزام بالصدق والامتناع عن الكذب : قال الله تبارك وتعالي " يا أيهاالذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " [5] وقال النبي صلي الله عليه وسلم" آية المنافق ثلاث إذا حدث كذَب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن

---

[1] سورة القلم : ٤

[2] سورة الأنبياء : ١٠٧

[3] رواه البخاري في الأدب المفرد

[4] سورة آل عمران : ١٥٩

[5] سورة التوبة : ١١٩

خان "[1] . وجعل الكذب من أكبر الكبائر وهو من أهم أسباب الشر والفساد .

٢- الاهتمام بالإنفاع وعدم الإضرار : وقال الله تبارك وتعالي " وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض "[2]

وقال النبي صلي الله عليه وسلم " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "[3] . وقال النبي صلي الله عليه وسلم" الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لاإله إلاالله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق "[4] . وقال النبي صلي الله عليه وسلم " خيركم أنفعكم للناس " .

٣- الشكر على الخير والصبر على الأذى : وقال النبي صلي الله عليه وسلم " من لم يشكرالناس لايشكرالله "[5] فلو أن أحدا قام بالخير إلى أحد يجب عليه أن يشكرله والشكر سيزيده من الاهتمام بالخير وإن أصيب بالأذى من عند أحد فعلى المسلم المؤمن ان يصبر وقال الله تعالى "فاصبر كما صبر أولوالعزم من الرسل "[6] . وقال تعالى " واصبروا إن الله مع الصابرين "[7] .

٤- المبادرة بالسلام والاستقبال بالوجه الطلق : وإذا لقي المسلم أحدا فعليه ان يتبادر بالسلام وأن يبتسم له وكان النبي صلي الله عليه وسلم يلقى الناس بوجه طلق ورغب فيه أيضا حيث يقول " لا تحقرن من المعروف شيئا ولوأن تلقى أخاك بوجه طلق "[8] . ويسلم على الصغير والكبير وبذلك ينتشر الحب ويعُم السلام في المجتمع الإنساني .

٥- صلة الرحم وقطعه: وذلك يعني أن يسدي الإنسان المسلم بذويه بالخير ويصل رحمه ويساعده ولايقطع الصلة به حتى ولوكان ذووه يقطعون وقال

---

[1] متفق عليه
[2] سورة الرعد : ١٧
[3] متفق عليه
[4] رواه مسلم
[5] رواه أحمد
[6] سورة الحجر: ٥
[7] سورة الأنفال : ٤٦
[8] رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان

النبي صلي الله عليه وسلم " صل من قطعك "[1]

٦- الاهتمام بالرفق وكراهية العنف : وقال النبي صلي الله عليه وسلم "ما كان الرفق في شئ إلا زانه وما نزع من شئ إلا شانه "[2] . وقال صلى الله عليه وسلم " إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف "[3] . وقد نهى النبي صلي الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها لما أغضب اليهودي الذي دعا على النبي صلي الله عليه وسلم بالموت فرده كذلك وقال " يا عائشة عليك بالرفق " .

اجتثاث العنصرية والعرقية والطائفية: وشدد الإسلام على اجتثاث النظام الطبَقي والعِرقي والعنصري الذي هو مصدر الفساد في المجتمع البشري فلا يكترث باللون والإقليم والنسب حيث يصرح القرآن " يا أيهاالناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى و جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير[4] . فمعيار ومحك الفضيلة هو العمل الصالح والتقوى .

وبهذه القيم الخلقية والمبادئ الإسلامية نتوصل إلى أن القرآن يسعى إلى تشكيل مجتمع مثالي يعيش فيه الإنسان عيشاً هادئاً كريماً ، يحاول كل من أفراد المجتمع أن ينفع الآخر ويسدي إليه بالخير ولايضره وأن يكون رحيماً وعادلاً وصادقاً في التعامل مع الناس .

فهذه بعض النقاط التي أشرتُ إليها وهي غيض من فيض من الأسس والمبادئ الأخلاقية والطرق السلوكية للإسلام النقية الصالحة التي تبني ولا تهدم ، تعمر ولا تخرب ، والمجتمع الإنساني العالمي اليوم لفي أشد حاجة إلى تطبيق هذه المبادئ للحصول على الخير والسعادة والأمن والسلام . وهي مفتاح للتعايش السلمي في المجتمعات ذات الثقافات المتنوعة المختلفة . والله هو الموفق .

---

[1] متفق عليه
[2] رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها
[3] رواه مسلم
[4] سورة الحجرات : ١٣

# عبقرية الشيخ النورسي
# لمقاومة الفتنة المادية واللادينية في ضوء رسائل النور

بقلم: د. علي رضا *

بعد سقوط الخلافة العثمانية في تركيا بدأت سيول الفتنة المادية واللادينية تجتاح أرجاء العالم الإسلامي عامة وتركيا خاصة ، ونشطت الفرق المضللة لنشر أفكارها الباطلة وشبهاتها الزائفة في المجتمع الإسلامي ، وذلك للنيل من سمعة الإسلام والمسلمين ، واستخدمت كل ما في وسعها من قوة مادية ونظرية علمية حديثة لاصطياد العقول الضعيفة والقلوب غير المستنيرة فاضطربت النفوس واختنقت الأرواح من جانب ، ومن جانب آخر: ساد اليأس والقنوط في المجتمع الإسلامي بعد انهيار الخلافة في عقر دارها وظهور العرقية والوطنية والعصبية الجاهلية وانقسام العالم الإسلامي في الدويلات المتعددة المحكومة تحت انتدابات الدول الغربية مثل فرنسا وإيطاليا وبريطانيا .

في مثل هذه الفترة الحالكة والحرجة أدرك الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي ضرورة ترسيخ الإيمان في قلوب المسلمين وصرف كل همته على تقويته ، وقام مع قلة وسائله وأفراده لسد سيول المادية واللادينية الجارفة ، وشمر عن ساق الجد لإنارة الدروب المظلمة والدفاع عن الإسلام والمسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة واضعاً بين يديه الآية القرآنية السرمدية" أدع إلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"

ولا ريب أنه كان من عباقرة عصره ومن العلماء البارزين القليلين الذين يمتازون بتوقد الذهن وسعة النظر وصفاء الديباجة ويمتلكون القوة الخارقة لإحداث تغييرات وإصلاحات كبيرة في مراحل الحياة الإنسانية المتأزمة ، فعبقرية الشيخ النورسي لا تكمن في فهم معاني القرآن

* الأستاذ المساعد بكلية بهانفر التابعة لجامعة كولكاتا

وأسراره فقط ، بل في تشخيص دواء لمرض عصره وتطبيقه بصورة خارقة ونادرة أيضاً .

وحينما نعمق النظر في رسائله نجد أنه جعل القرآن الكريم سلاحاً كبيراً لمعالجة أمراض عصره واستيصال جذور اللادينية والمادية حيث قال : " إن القرآن قوت وغذاء للقلوب وقوة وغناء للعقول، وماء وضياء للأرواح ، ودواء وشفاء للنفوس ، لذا لا يمل: مثاله الخبز الذي نأكله يومياً دون أن نمل ، بينما لو تناولنا أطيب فاكهة يوميا لشعرنا بالملل" . وقال في مقدمة المثنوي العربي النوري: فإن" رسائل النور" ليس مسلكها مسلك العلماء والحكماء ، بل هو مسلك مقتبس من الإعجاز المعنوي للقرآن يخرج زلال معرفة الله من كل شيئ، فيستفيد السالك في رسائل النور في لحظة ما لا يستفيده سالكو سائر المسالك في سنة . . . . . وذلك سر من أسرار القرآن يعطيه الله من يشاء من العباد ويدفع به هجوم أهل العناد [1] .

إنه كان يعتقد أن القرآن الكريم هو الترياق للأفكار المادية واللادينية المسمومة والدواء الشافي لداء عصره ، وكان يعتقد أن الإنسان يستطيع أن يتخلص من أي بلاء ومصيبة بالإيمان القوي ، ويقدر أن ينتصر على أسباب ودواعي الحياة المادية المعادية ، ولذلك فإنه كان يحث المسلمين عامة وتلاميذه خاصة على اقتداء يونس عليه السلام وإيمانه بالله وورد الآية الكريمة" لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" يومياً ضمن الأوراد والأذكار لكي يتخلصوا وينجوا من أوضاعهم المتأزمة والمروعة كما نجا يونس عليه السلام حينما ألقي في البحر ، فالتقمه الحوت ، وغشيته أمواج البحر الهائجة وأسدل الليل البهيم أستاره فداهمته الرهبة والخوف من كل مكان وانقطعت أمامه أسباب الرجاء والأمل وانعدمت الأسباب المادية ولم يبق لديه سبيل إلا أن يرجع ويلجأ إلى من يعرف خلجات القلوب وخفايا الصدور وإلى من بيده مقاليد السماوات والأرض وزمام البحر والحوت والليل البهيم ، فتضرع وتوسل إلى الله بمناجاته الرقيقة حتى خرج سالماً من بطن الحوت إلى شجرة اليقطين بلطف الرب الرحيم ، كما أنه يقول في تفسير هذه الآية: وسر هذه

١- المثنوي العربي النوري ، ص ٦٠.

المناجاة العظيم هو : أن الأسباب المادية قد هوت كليا في ذلك الوضع المرعب ، وسقطت نهائيا فلم تحرك ساكنا ولم تترك أثراً ، ذلك لأن الذي يستطيع أن ينقذه من تلك الحالة ، ليس إلا ذلك الذي تنفذ قدرته في الحوت ، وتهيمن على البحر وتستولي على الليل وجو السماء[1] .

ومما يلفت النظر أنه حاول بتوضيح أن هذه القصة مماثلة بأوضاع عصره المادية المتأزمة وأن الليل البهيم في القصة يشابه بالمستقبل المظلم للأمة الغافلة والبحر بالكرة الأرضية ، وأما الحوت فإنه شبه بالنفس الأمارة بالسوء قائلا: " ليلنا الذي يخيم علينا ، هو المستقبل ..... فمستقبلنا إذا نظرنا إليه بنظر الغفلة يبدو مظلماً مخيفاً ، بل هو أحلك ظلاماً وأشد عتامة من الليل الذي كان فيه سيدنا يونس عليه السلام ، بمائة مرة ..... وبحرنا ، هو بحر الكرة الأرضية ، فكل موجة من أمواج هذا البحر المتلاطم تحمل آلاف الجنائز ، فهو إذن بحر مرعب رهيب بمائة ضعف رهبة البحر الذي ألقي فيه عليه السلام .

وحوتنا ، هو ما نحمله من نفس أمارة بالسوء ، فهي حوت يريد أن يلتقم حياتنا الأبدية ويمحقها ، هذا الحوت أشد ضراوة من الحوت الذي ابتلع سيدنا يونس عليه السلام ، إذا كان يمكنه أن يقضي على حياة أمدها مائة سنة ، بينما حوتنا نحن يحاول إفناء مئات الملايين من سني حياة خالدة هنيئة رغيدة[2] .

يتضح من التفسير والتوضيح المذكور أعلاه أن الشيخ النورسي كان له نظر عميق بأوضاع عصره الملحدة ، وكان يعرف أنه لا يمكن أن تسد هذه التيارات الفتاكة ولا يمكن الخلاص منها إلا بالكلمات التي كتبت لبيان أسرار القرآن ، لكن مع ذلك إنه كان يعترف بصعوبة التخلص من الضلالة الناشئة من العلم والمعرفة قائلا: " فيا أخي! إنك تعلم جيداً أن الضلالة إن كانت ناجمة من الجهل فإزالتها يسير وسهل ، ولكن إن كانت ناشئة من العلم فإزالتها عسير ومفضل، وقد كان هذا القسم الأخير نادراً فيما مضى من الزمان ، وربما لا تجد من الألف إلا واحدا يضل باسم العلم ، وإذا ما وجد ضالون من هذا النوع ربما يسترشد

---

[1] - اللمعات ص٦

[2] - اللمعات ص٦- ٧

منهم واحد من الألف ، ذلك لأن أمثال هؤلاء يعجبون بأنفسهم ، فمع أنهم يجهلون ويعتقدون أنهم يعلمون .

وإني أعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد منح ((الكلمات)) المعروفة، التي هي لمعات معنوية من إعجاز القرآن الكريم خاصية الدواء الشافي والترياق المضاد لسموم زندقة هذه الضلالة في هذا العصر .[1]

وبالإضافة إلى اتخاذ القرآن كذريعة وحيدة وسلاح قوي لنضاله ضدالمادية واللادينية إنه كان يشدّد على ضرورة تقوية وترسيخ الإيمان في قلوب المسلمين والمؤاخاة الإسلامية العالمية الموحدة ، وذلك لجهاده ضد المادية واللادينية وإنقاذ الإسلام والمسلمين من أن يصبحوا فريسة المادية ، وهكذا نجد أنه كان يعتبر الإيمان بالله والمؤاخاة والوحدة الإسلامية قوتين كبيرتين لهذا السلاح القرآني النوري ، ومن ثم فإنه كان لا يقول شيئا إلا وله دلائل وشواهد في القرآن والشريعة ، ففي مثل هذه الفترة المادية المتأزمة أنه أدرك الشكوك والشبهات التي يبثها حاملو العلوم الظاهرة المادية تصيب باطن القلب الذي هو مستقر الإيمان فتزعزع الإيمان فيه ، وتمس اللسان الذي هو مترجم الإيمان ، لذلك كان يفضل تقوية وترسيخ الإيمان على تزكية النفس على الرغم من أنه ألزم نفسه حياة الزهد والتأمل والعبادة ، وصرح في جميع آثاره بخواطر شفافة عميقة تنم عن إشراق روحي وفتح إلهي لا يمكن الحصول عليه إلا لمن جاهد نفسه في الله فهداه السبل الواضحة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين: (سورة العنكبوت ٦٩)

"نعم لا يمكن دخول الجنة دون إيمان ، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف ، فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز ، بينما يمكنه العيش دون فاكهة ، فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز"[2]

لقد عبر الشيخ النورسي غير ما مرة عن احتياجات العصر لإنارة الدروب الإيمانية وتقوية جذور العقائد الإسلامية في نفوس عامة الناس بعد أن أصبحت مستهدفة ، وكان يعتقد لو أن كبار الأولياء والأقطاب أمثال

---

[1] - المكتوبات ص ٢٨

[2] - المكتوبات نفس الصفحة.

الشيخ عبد القادر الكيلاني وأحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي الملقب بمجدد الألف الثاني والشاه محمد بهاء الدين النقشبندي عاشوا هذه الفترة لانصرفوا إلى خدمة العقيدة التي هي أساس الدين وفضلوا تقوية الإيمان على تزكية النفس وبذلوا قصارى الجهد لنفخ روح الأمل والإيمان في الإنسان المضطرب ، وذلك نظراً إلى الفوضى النابعة من الكفر والإلحاد وانتشار الفلسفة المادية والشيوعية انتشار النار في الهشيم، إنه يقول :

" إني إخال لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني والشاه النقشبندي والإمام الرباني وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية"

أما المحور الأساسي الثاني بعد الإيمان فهو المؤاخاة والوحدة الإسلامية حتى نجده يتناول هذه الفكرة طول حياته ويعتبرها كفريضة من الفرائض الإسلامية كما أنه يقول في مقالته صدى الحقيقة " لا رياء في الفرائض ، وأكبر فريضة في هذا العصر هو الاتحاد الإسلامي " لقد أوضح عن رؤيته لطبيعة المؤاخاة والوحدة الإسلامية بالعبارة التالية قائلا :

إن أساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال ... ومركزه : الحرمان الشريفان .... وجهة وحدته : التوحيد الإلهي ... عهده وقسمه : الإيمان ... نظامه الداخلي : السنة النبوية الشريفة .... قوانينه : الأوامر والنواهي الشرعية ... مقر اجتماعيته : جميع الكتب الإسلامية ، وفي المقدمة القرآن الكريم وتفاسيره ( ورسائل النور أحد تلك التفاسير في زماننا هذا) وجميع الصحف الدينية والجرائد النزيهة التي تهدف إلى إعلاء كلمة الله .... ومنتسبوه : جميع المؤمنين . .... رئيسه : فخر العالمين صلى الله عليه وسلم .[1]

وقد سلط الضوء على تطلعاته الخاصة بالاتحاد الإسلامي في مؤلفه " الرموز " بالشكل التالي :

" ما الاتحاد الاسلامي ؟ الاتحاد الإسلامي مجلس نوراني ممتد من

[1]- صيقل الإسلام ص٥٣٤

الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال ، وقد دخلنا ذلك المجمع بالإيمان الذي هو يميننا وعهدنا بالميثاق الأزلي ، فنحن أهل توحيد مأمورون بالاتحاد " .

فيتضح من هذا أن الشيخ النورسي لم يقصد قط الوحدة الإسلامية محدودة ومقسمة فيما بين الوطنية والعرقية والعربية والعجمية والأبيض والأسود ، بل كان يريد الوحدة والاتحاد بكل معنى الكلمة حيث يصبح كل فرد من أفراد الأمة كماء صاف إذا انقطعت قطرة منها فلا تفقد ميزتها المائية ، فلا أحد خارج هذا الاتحاد ، كما دعا إلى عدم انتقاد الإخوان العاملين في سبيل الخدمة القرآنية واجتناب التفاخر والتحاسد والتباغض والاستعلاء بعضهم على بعض ، لأنه يضر بالفرد وبالتالي الوحدة ، وقدم مثالا رائعا في هذا الصدد لقطع غيار الماكينة التي تساند وتتوافق في تنفيذ عمل ما دون أن تحسد التروس بالدواليب أو يتقدم واحد على الآخر أو يتتبع واحد نقائص الآخر ، بل يعاون كل منها الآخر بكل ما لديها من قوة وطاقة عند تنفيذ العمل فلو كان يتحكم واحد على الآخر أو يتدخل واحد في عمل الآخر لاختلت الماكينة وتعطلت من العمل ، ونظراً إلى هذا يجب على المسلمين التساند التام والتوافق الكامل في دعوتهم إلى دين الحق ، إنه يقول :

" فيا طلاب النور ويا خدام القرآن ! نحن جميعا أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها : الإنسان الكامل : ..... ونحن جميعا بمثابة تروس ودواليب معمل ينسج السعادة الأبدية في حياة خالدة ، فنحن خدام عاملون في سفينة ربانية تسير بالأمة المحمدية إلى شاطئ السلامة وهي دار السلام"

وجدير بالذكر أن الشيخ النورسي كان حساساً للغاية في أمر المؤاخاة والوحدة الإسلامية ، ولم يكن يرضى أن يمس أحد كرامة المسلم سواء كان بفعله أو مقاله أو بسبب من الأسباب المادية ، لذلك نرى أنه رفض رفضاً باتا طلب الشيخ سعيد بيران البالوي النقشبندي لماركته واستغلال نفوذه لإمداد الثورة التي يقود بها ضد السلطة في ذلك الوقت قائلا :

" إن ما تقومون به من ثورة تدفع الأخ لقتل أخيه ولا تحقق أية نتيجة، فالأمة التركية قد رفعت راية الإسلام وضحت في سبيل دينها

مئات الألوف بل الملايين من الشهداء فضلا عن تربيتها ملايين الأولياء ، لذا لا يُستل السيف على أحفاد الأمة البطلة المضحية للإسلام الأمة التركية وأنا أيضا لا أستله عليهم " .

إنه كان يريد وحدة إسلامية مثالية يتسلح كل فرد من أفرادها بالإخلاص والإيثار والاحترام المتبادل ، ويتصف كل شخص من أشخاصها بالحماسة الأخوية الدينية فلا ضرر فيها ولا ضرار . ويفضل كل منتسبيها الآخرين على أنفسهم في المناصب والمراتب حتى في المنافع التي ترتاح إليها النفس ، بل كان يتمنى ويتطلع إلى أقصى حد من الإيثار والإخلاص حيث يفني كل فرد من أجل الاتحاد للمؤاخاة والمحبة قائلا:

فهناك إصلاحات تدور بين المتصوفة أمثال : الفناء في الشيخ ، الفناء في الرسول ، وأنا لست صوفياً ، ولكن ((الفناء في الإخوان)) دستور جميل يناسب مسلكنا ومنهجنا تماماً ، اي أن يفنى كل في الآخر، أي أن ينسى كل أخ حسياته النفسانية ، ويعيش فكرا مع مزايا إخوانه وفضائلهم ، حيث إن أساس مسلكنا ومنهجنا ((الإخوة)) في الله ، وإن العلاقات التي تربطنا هي الإخوة الحقيقية ، وليست علاقة الأب مع الإبن ولا علاقة الشيخ مع المريد ، وإن كان لا بد فمجرد العلاقة بالأستاذ، وما دام مسلكنا هو (( الخليلية )) ، فمشربنا إذا ((الخلة)) ، والخلة تقتضي صديقاً صدوقاً ، ورفيقاً مضحياً ، وأخاً شهماً غيوراً .... وأسس الأساس لهذه الخلة هو (( الإخلاص التام )) فمن يقصر منكم فيه فقد هوى من على برج الخلة العالي، ولربما يتردى في واد سحيق ، إذ لا موضع في المنتصف" .[1]

**ملخص القول :**

اتضح من البحث المذكور أعلاه أن الشيخ بديع الزمان النورسي لعب دوراً بارزاً لصد الموجات الإلحادية والمادية الناتجة من العلوم الحديثة ولم ينجح بقمعهما في زمنه فقط بسبب آرائه وأفكاره العبقرية السامية التي استنبطها من الآيات القرآنية النورية ، بل ترك لنا معشر المسلمين آراءه وأفكاره القيمة ما زالت مصداقيتها وجدارتها قائمة ، ويمكن أن نستفيد

---

[1] - اللمعات : ص٢٤٣

منها في نضالنا ضد الأفكار المادية الملحدة خاصة في الظروف الراهنة التي يمر بها العالم بعد انهيار الشيوعية في عقر دارها والدعاوي المادية الكاذبة للغرب ، وبالإضافة إلى ذلك فإن البشرية أخذت تصحو وتتيقظ ، وذلك بسبب العلوم والفنون الحديثة وتتيقن أنها لا يمكن أن تعيش بدون الدين ، وقد حان الوقت لنبرهن على العالم من معنوية القرآن وصدق الإسلام ونكرر شعار الشيخ النورسي الذي قام به في زمنه وهو (( لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها))

وفي الأخير اعترف بقلة بضاعتي ومعرفتي بخصوص مكتوبات الشيخ النورسي التي وصلت إلينا عبر الترجمة والتعريب التي قام بها الإستاذ إحسان الصالحي في أسلوب رائع وجميل وأدى حقها فجزاه الله خيراً ..... فليس لدى المام به ولو كنت أعرفها لكنت أحظى بها أكثر بكثير ، لأن الترجمة هي الترجمة والأصل هو الأصل فلا موازنة بينهما ولهذا أقول ما يقوله الناس منذ زمان:

" زبان يار من تركي ، ومن تركي نمى دانم "

يعني : ( لغة صديقي تركية وأنا لست ممن يعرف اللغة التركية )

**المراجع والمصادر:**


١. المثنوى العربي النوري للإمام النورسي ، دار سوزلر فرع القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٥م .
٢. المكتوبات للإمام النورسي ، شركة سوزلر للنشر ٣٠ شارع الإمام أبو حنيفة ، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م .
٣. اللمعات للإمام النورسي ، شركة سوزلر للنشر ٣٠ شارع الإمام أبوحنيفة .
٤. الشعاعات للإمام النورسي ، دار سوزلر للنشر فرع القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٣م.
٥. إشارات الاعجاز للإمام النورسي ، شركة سوزلر للنشر ٣٠ شارع الإمام أبو حنيفة ، القاهرة الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م .
٦. الملاحق للإمام النورسي ، دار سوزلر للنشر فرع القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٩٩م .
٧. صيقل الإسلام للإمام النورسي ، شركة سوزلر للنشر ٣٠ شارع الإمام أبو حنيفة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م .
٨. السيرة الذاتية للإمام النورسي ترجمة احسان قاسم صالحي .
٩. المقالات المقدمة في المؤتمرات والندوات العلمية المنعقدة في المدن المعتددة حول الإمام النورسي .

الفقه الإسلامي

# قواعد وضوابط لترشيد الإنفاق والاستهلاك

الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي ( لكناؤ )

( الحلقة الثانية )

وكذلك ذم الله البخل بالمال وبين ما يجره على صاحبه من العار والمنقصة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ، فقال تعالى : [ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ] [1] . وقال تعالى : [ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ] [2] .

وصور عاقبة البخل الأليمة المنفرة في قوله تعالى : [ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّآ آتَاهُمْ مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ] [3] .

كما جاء النهي عن التقتير في قوله تعالى : [ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ] [4] . أي لا تكن بخيلاً منوعًا لا تعطي أحدًا شيئًا [5] ، فقد نهى عن التقتير والإمساك بصورة منفرة ، وذلك بإظهار المقتر في صورة شخص ربطت يده إلى عنقه ، فلا يستطيع أن يمدها إلى خير.

بل إن الإسلام يعد الشخص عاصيًا إن لم ينفق في حدوده الواجبة بالقدر الذي يحفظ عليه إنسانيته وطاقته الفعالة . يقول تعالى : [ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ] [6] .

---

(1) سورة آل عمران الآية ١٨٠.
(2) سورة النساء الآية : ٣٧ .
(3) سورة التوبة الآيات : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧.
(4) سورة الإسراء من الآية ٢٩ .
(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣٧/٣، التفسير الكبير للرازي ١٩٦/٢٠.
(6) سورة المائدة الآيتان : ٨٧ ، ٨٨ .

بهذا بيَّن الله - سبحانه وتعالى- أنه لا يجوز لأحد أن يحرم شيئًا أحله الله ، لأن ذلك يعد اعتداء ومجاوزة للحد ، فقال : [ ولا تعتدوا ] ثم قال : [ وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبًا ] أي حلالاً في نفسه غير داخل فيما حرمه عليكم ، وحلالاً في طريقة كسبه وتناوله .

وليس المقصود من الأكل في هذه الآية الكريمة خصوص الأكل، ولكنه عبارة عن التمتع بالأكل والشرب واللباس والركوب ونحو ذلك ، وسبب تخصيص الأكل بالذكر في الآية أنه أعظم المقصود وأخص الانتفاعات بالإنسان [٧] .

إذن لا يحل للمسلم أن يقتر في الإنفاق والاستهلاك ، فيحرم النفس من متع الحياة الضرورية مهما كان سبب هذا الحرمان ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون السبب شدة التعلق بالمال أو أن يكون هو الزهد والتقشف باسم التعبد والتقرب .

ولذلك نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصحابة الذين أرادوا التزهد ، ومنع أنفسهم من الطعام والشراب والزواج وعدم النوم في الليل ، فأخبرهم أنه هو نبي مرسل ، ومع ذلك لا يمنع نفسه عن شيء من هذا ، فقد روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : إن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - عن عمله في السر ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال بعضهم : لا أنكح النساء ، وقال بعضهم : لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش . فبلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا . أما وإني لأخشاكم لله ، لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " [٨] .

وذلك لأن الإنسان إذا حرم نفسه وعذبها ضعفت وهزلت ، فلا

---

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٦/٢٦٣ – ٢٦٤ .

(٨) رواه البخاري في صحيحه ( ٥/١٩٤٩ – كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح، ح ٤٧٧٦ ) ، ومسلم في صحيحه ( ٢/١٠١٠- كتاب ، باب استحباب النكاح لمن طاقت نفسه إليه ، ح ١٤٠١ ) .

يتحقق المقصود من خلقها ، وهو عبادة ربها وشكر نعمه عليها ، وتأدية الفرائض والواجبات .

وعليه فإن التقتير بمعنى عدم إشباع المرء حاجاته المشروعة مع قدرته على ذلك يعد مخالفة للأمر الإلهي .

وهكذا ينوع القرآن الكريم والسنه النبوية خطابهما لنا ، فمرة تأمرنا بالإنفاق والاستهلاك في حدودهما ، ومرة تنهانا عن الإمساك ، وثالثة تحذرنا من البخل والشح ، وكلها أساليب تصل بنا إلى إدراك أن هناك حدًا أدنى من الإنفاق والاستهلاك - الذي يقوّم الشخص ويمَكنه من أداء دوره في الحياة - لا يصح أن يعيش الفرد تحته ، وذلك أن الحياة في ظل مستوى التقتير يعدها الإسلام ظلمًا للنفس من ناحية؛ لأنه يؤدي إلى عدم إشباع مقاصد الشريعة الخمسة عند المستوى الملائم لقدرات الشخص، ومن ناحية أخرى ظلمًا للمجتمع ؛ وذلك لأن حبس المال وتعطيل وظيفته يحول دون التوسع في الميادين المختلفة للنشاط الاقتصادي ، ويؤدي إلى اكتناز الأموال ، لما يترتب عليه الانكماش والركود في الحياة الاقتصادية .

وإذا قلنا : إن ثروة الأمة هي عبارة عن ثروة الأفراد كلهم ، لقررنا أنه يجب على الأغنياء والأثرياء ألا يجمدوا الأموال في صناديقهم وخزائنهم حرصًا على الصالح العام ومصلحة الأمة العليا .

فالتقتير إذن ليس سلوكًا فرديًا تتوقف آثاره على المقتر ، ولكنه يتعدى إلى المجتمع ويهلك الجميع .

ومن هنا يمكن القول : إن الإسلام يطلب أن يتحقق لدى المجتمع قدر معين من الإنفاق والاستهلاك يكون النقص عنه إخلالا بقدرة الأفراد على القيام بواجباتهم المنوطة بهم " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " [٩] .

ولا يحل لأي فرد أن يقل عن هذا المستوى في الإنفاق والاستهلاك ، ويجب على كل فرد أن يعمل ويسعى ويجتهد كي يحقق هذا المستوى في الإنفاق والاستهلاك على نفسه وعلى من يعوله ، ومن يعجز بجهوده عن تحقيق هذا المستوى فإن الإسلام قد فرض له نصيبًا في أموال الزكاة وغيرها من الأموال العامة بحيث يكون كل فرد في المجتمع محققًا لهذا

(٩) انظر : المستصفى للغزالي ص ٥٧ ، الإبهاج شرح المنهاج للسبكي ١٠٩/١ .

المستوى بصرف النظر عن ملكيته أو قدرته ، وكل ما هنالك من فرق هو أن القادر يحقق هذا المستوى بجهوده الخاصة ، أما غيره فإنه يحققه بجهود الآخرين .

ونستخلص مما سبق أن الإسلام لا يهدف إلى تضييق الإنفاق والاستهلاك بصورة مطلقة ، وإنما يهدف إلى ضبط الإنفاق والاستهلاك وجعله في الحدود التي تحقق مصالح الأفراد والجماعة .

فتحريم التقتير إذن هو أول ضوابط الإنفاق والاستهلاك ، ومهمته تتمثل في حفظ حد الإنفاق والاستهلاك عند مستوى لائق نسبيًا لا يجوز النزول عنه ، بيد أن هذا الحد من الإنفاق والاستهلاك ليس هو الحد المتوقع في المجتمع الإسلامي من ناحية ، وليس هو الحد المسموح به من ناحية أخرى ، فليس كل الأفراد يقفون عند الحد الواجب فقط ، كما أن الإسلام لا يمنع الزيادة عليه ، وإنما يسمح بها ويحفز عليها طالما أنها لم تصل إلى الحد غير المسموح به ، ذلك أن مستوى الإنفاق والاستهلاك في ظل الإسلام يتنامى إلى أعلى ، إلا إذا وصل إلى حد الإسراف ، وعنده يكون الإنفاق والاستهلاك غير محقق لمصلحة ما ، سواء للفرد أو للحكومة ، وهنا يأتي دور الضابط الثاني من ضوابط الإنفاق والاستهلاك في ظل الإسلام وهو ما نتناوله فيما يأتي :

**ثانيا : تحريم الإسراف :**

ذكرنا فيما سبق أن الإسلام يوجب على الإنسان أن يصل إنفاقه واستهلاكه إلى حد معين ، ويحرم عليه أن ينقص عنه ، ويسمح له بالزيادة عليه ، فإن زيادة هذا الحد ليست بغير نهاية ، وإنما هي محدودة بضابط آخر يفوق الضابط السابق في الأهمية ، ألا وهو تحريم الإسلام للإسراف .

وتحريم الإسراف يعني إيجاد حد للإنفاق والاستهلاك لا يصح الزيادة عليه ، وهو يحدد الإنفاق والاستهلاك من أعلى ، بينما كان الضابط الأول (تحريم التقتير) يحدده الإنفاق والاستهلاك من أسفل ، والمسافة المحصورة بين الحدين تمثل الإنفاق والاستهلاك المسموح به أو المباح ، فهو ليس بواجب كما أنه ليس بحرام .

ولكن ما هو الإسراف في اللغة والاصطلاح ؟

الإسراف في اللغة : مجاوزة الحد ، أو القصد ، أو الاعتدال ، أو هو ما أنفق في غير طاعة . تقول العرب : في الأمر سرف أي مجاوزة للحد ، وأسرف في ماله أي أنفق من غير اعتدال ووضع المال في غير موضعه ، وأسرف في الكلام ، وفي القتل أي أفرط ، والسرف وإن كان موضوعاً ، لتجاوز الحد في كل فعل يفعله لإنسان ، لكنه في الإنفاق أشهر [١٠] .

أما في الاصطلاح : فقد عرفه العلماء بتعريفات عديدة ، نذكر بعضها فيما يلي :

- قال الجصاص ( ت ٣٧٠هـ ) : السرف ، مجاوزة حد المباح إلى المحظور [١١] .
- وقال الرازي ( ت ٦٠٦هـ ) : السرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع في الدنيا وإن كان من حلال [١٢] .
- وقال الجرجاني (ت ٨١٦هـ) : هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس . [١٣]
- وقال الحموي (ت ١٠٩٨هـ) : هو تجاوز في الكمية ، فهو جهل بمقادير الحقوق [١٤] .

ومن هذه التعريفات يتبين لنا أن الإسراف هو تجاوز الحد في المباحات والاستغراق في الاستجابة لرغبات النفس التي لها أصل مشروع مما يخرج بالشخص عن الاعتدال والتوسط .

والإسراف محرم لنفس الأسباب التي حرم من أجلها التقتير ، فكلاهما ظلم للنفس وتحطيم لقدراتها ، وإن اختلفت الوسيلة . كما أن كليهما إهدار للموارد الاقتصادية ، وإذا كان التقتير يؤدي إلى حدوث الكساد ، فإن الإسراف يؤدي إلى حدوث التضخم ، وكلاهما شر في المجتمع ومعول من أكبر معاول الهدم للنظم الاقتصادية القائمة على العدل

---

(١٠) انظر : لسان العرب مادة (سرف) ١٤٨/٩ ، القاموس المحيط فصل السين باب القاف ١٥١/٣ - ١٥٢ ، معجم المقاييس في اللغة ص ٥١٣ ، المصباح المنير ٢٧٤/١ ، مختار الصحاح ص ١٢٥ ، المفردات ص ٢٣٠ ، بصائر ذوي التمييز ١٠٥/٢.

(١١) أحكام القرآن ٣٥٨/٢ .

(١٢) التفسير الكبير ١٠٩/٢٤ .

(١٣) التعريفات ص ٣٨ .

(١٤) غمز عيون البصائر ٢٦٥/٢ مطبوع مع الأشباه والنظائر لابن نجيم .

والتكافل الاجتماعى ، ولذلك يجب أن نبعدهما عن المجتمع الإسلامى . يقول النبي صلى الله عليه وسلم مرشدا المسلم : " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة " [15] .

قال الصنعاني ( ت١١٨٢هـ ) : " دل الحديث على تحريم الإسراف في المأكل والمشرب والملبس والتصدق ثم نقل عن عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ ) قوله : " إن السرف في كل شيىء مضر بالجسد ومضر بالمعيشة ويؤدي إلى الإتلاف فيضر بالنفس " [16] .

ولما كان الإسراف يؤدي بصاحبه في النهاية إلى نفاد أمواله وإفلاسه فينتج عن ذلك التطلع والتشوف إلى ما في أيدي الناس ، أو ينجم عنه على الأقل قلتها ، ويعيش صاحبها نادماً على ما فاته من السعة ورفاهية الحال بسبب إسرافه وتبذيره ، فإن الإسلام الذي لم يرض عن التقتير والشح ، كذلك لم يرض عن التبذير والإسراف ، ورأى فيه تضييعًا للأموال ، وصرفاً لها في غير مواضعها ، ونهى المسلم عن أن يسرف فيما لا فائدة فيه . قال تعالى : [ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ] [17] ، وقال جل شأنه : [ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ] [18] .

إذاً الإسراف أمر مذموم ومكروه على كل حال ، حتى إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كره الإسراف في الماء في الوضوء ، فقد روي أنه - صلى الله عليه وسلم - مر بسعد - رضي الله عنه - وهو يتوضأ فقال: أفي الوضوء إسرافٌ ؟ فقال : نعم ، وإن كنت على نهرٍ جارٍ [19] .

---

(15) رواه البخاري في صحيحه ( ٢١٨١/٥ – كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: [ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ]، والنسائى في سننه ( ٥٩/٥ – كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة )، وابن ماجة في سننه ( ١١٩٢/٢ – كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة ، ح ٣٦٠٥ ) والمخيلة هي الكبر والإعجاب ، المصباح المنير ١٨٦/١ .

(16) سبل السلام : ٦٢٦/٤ .

(17) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

(18) سورة الأنعام من الآية ١٤١ .

(19) رواه ابن ماجه في السنن (١٤٧/١) كتاب الطهارة باب ما جاء في القصر وكراهية التعدي فيه وإسناده حسن .

كما كره الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن يتصدق الإنسان بكل ماله وعد ذلك إسرافاً[٢٠] . قال- صلى الله عليه وسلم- ناعيًا على من يتصدق بكل ماله : "يأتي أحدكم بما يملك فيقول : هذه صدقة ، ثم يقعد يستكف الناس ، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى"[٢١] .

ويُروى أن ثابت بن قيس ابن شماس عمد إلى خمسمائة نخلة فجَدَّها ثم قسمها ( تصدق بها ) يوم أحد ، ولم يترك لأهله شيئا ، وأن معاذ بن جبل جَدَّ نخله ، فلم يزل يتصدق حتى لم يبق منه شيئا ، فنزل قوله تعالى : [ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ][٢٢] . قال بعض المفسرين إن هذا هو الإسراف المنهي عنه ، وهو أن يتجاوز رب المال إخراج القدر المفروض عليه إلى زياده تُجحف به[٢٣] .

وإنما منع الإسلام الإسراف لأنه يتعارض مع مبدأ الاقتصاد القائم على الموازنة بين ما يملكه الإنسان ، وبين تلبيته لحاجاته ورغباته وبين ما يجب عليه ؛ لإن الإسراف يتجاوز حد الإنفاق المعتدل في جهة على حساب جهات أخرى ، فيختل التوازن في الإنفاق والاستهلاك .

ومن هنا ندرك السر في اهتمام الإسلام المتواصل بالبحث على الاقتصاد والاعتدال في الإنفاق والاستهلاك ، والتحذير من الإسراف حتى لا يؤدي الإسراف بالمرء إلى إهلاك نفسه وأهله ، وبالتالي يؤدي إلى هلاك الأمة بأكملها ، لأن الإسراف نوع من التهور والتسرع وعدم التبصر بعواقب الأمور ، وقد يكون دليلا على الاستهتار وعدم الحكمة في تحمل المسئولية ، وكل ذلك يؤدي إلى وخيم العواقب وسيئ النتائج ، فهو يقتل حيوية الأمة ويؤدي بها إلى البوار والفساد ، ويقضي على حياة الأمن والاستقرار ، كما أن فيه كسرًا لنفس الفقراء وبطرًا لأهل الغنى .

هذا ، وهناك نوع من الإسراف بلغ المدى في تجاوز الحد ، وأعطته الشريعة الإسلامية وصفاً مستقلاً ، لأنه تجاوز من نوع خاص ، إذ هو لا

---

(٢٠) مجموع فتاوى ابن تيمية ١١٤/٢٩ .

(٢١) رواه أبو داود في السنن ٥٣/٢) كتاب الزكاة باب الرجل يخرج من ماله رقم ١٦٧٣ .

(٢٢) سورة الأنعام الآية ١٤١ .

(٢٣) تفسير القرطبي ١١٠/٧ .

يقتصر على تجاوز الحد في المباحات ، وإنما يتجاوز إلى الإنفاق والاستهلاك في المحرمات نفسها ، وهذا هو ما يعرف في الشريعة الإسلامية باسم التبذير.

ولكن ما هو التبذير في اللغة والاصطلاح ؟

التبذير في اللغة : هو تفريق المال إسرافاً ، يقال : بذره تبذيراً ، خربه وفرقه إسرافاً ، وبذر المال تبذيرا ، أسرف فى إنفاقه . ومنه قول الله- سبحانه وتعالى- : [ ولا تبذر تبذيرًا ] . والتبذير في المال : التفريق في غير القصد [٢٤] .

أما في الاصطلاح : فقد عرفه العلماء بتعريفات كثيرة ، وسنكتفي هنا بذكر بعض التعريفات :

قال ابن مسعود - رضي الله عنه : ( التبذير : هو إنفاق المال في غير حقه ) [٢٥] .

وقال قتادة ( ت ١١٧هـ ) : هو النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد [٢٦] .

وقال الزمخشري ( ت ٥٣٨هـ ) : هو تفريق المال في ما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف [٢٧] .

وقال الجرجاني (ت ٨١٦هـ) : هو تفريق المال على وجه الإسراف[٢٨]

وقال الحموي ( ت ١٠٩٨هـ ) : هو تجاوز في موضع الحق ، فهو جهل بمواقع الحقوق [٢٩] .

ويتبين من هذه المفاهيم أن التبذير أشد من الإسراف ، فهو المغالاة في تجاوز الحد ، والتوسع في الإنفاق والاستهلاك على المحرمات والمعاصى والشهوات .

---

(٢٤) انظر : القاموس المحيط فصل الباء باب الراء ٣٧١/١، المصباح المنير ٤٠/١ ، والآية من سورة الإسراء رقم ٢٦ .

(٢٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣٧/٣، الكشاف للزمخشرى٤٤٦/٢ .

(٢٦) تفسير القرآن العظيم ٣٦/٣ .

(٢٧) الكشاف ٤٤٦/٢ .

(٢٨) التعريفات ص ٧٢ .

(٢٩) غمز عيون البصائر ٢٦٥/٢ .

والفرق بين الإسراف والتبذير أن الإسراف هو تجاوز الحد في الإنفاق فيما ينبغي ، والتبذير هو صرف المال في غير ما ينبغي ، وهو ما عبر عنه ابن عابدين ( ت ١٢٥٢هـ ) بقوله : " التبذير يستعمل في المشهور بمعنى الإسراف ، والتحقيق أن بينهما فرقاً ، وهو أن الإسراف صرف الشيئ فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي ، والتبذير صرف الشيئ فيما لا ينبغي " (٣٠).

وقال الماوردي ( ت٤٥٠هـ ): " واعلم أن السرف والتبذير قد يفترق معناهما ، فالسرف هو الجهل بمقادير الحقوق ، والتبذير هو الجهل بمواقع الحقوق وكلاهما مذموم ، وذم التبذير أعظم ؛ لأن المسرف يخطئ في الزيادة ، والمبذر يخطىء في الجهل ، ومن جهل مواقع الحقوق ومقاديرها بماله وأخطأها فهو كمن جهلها بفعاله فتعداها ، وكما أنه بتبذيره قد يضع الشيء في غير موضعه ، فهكذا قد يعدل به عن موضعه، لأن المال أقل من أن يوضع في كل موضع من حق وغير حق " (٣١).

وهذا النوع من الإنفاق والاستهلاك محرم في الإسلام مهما كان مقداره ، فأي قدر من الإنفاق والاستهلاك على المحرمات فهو محظور لنفس الأسباب التي حرم من أجلها الإسراف ، فكلاهما يؤدي إلى إتلاف النفس والأموال والإضرار بالمجتمع ، فالتبذير حرام ، لأنه إضاعة للمال في غير مصلحة ، ولهذا نهى الله تبارك وتعالى عن التبذير وذمَّ فاعله ، واعتبره من إخوان الشياطين ، قال تعالى محذرًا من التبذير : ( إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ) (٣٢). وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ، ومنعا وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال " (٣٣).

---

(٣٠) رد المحتار ٨١٣/٦، ولنفس الرأى انظر : كشاف القناع ٤٤٥/٣، شرح الخرشى على مختصر خليل ١٨٣/٤.

(٣١) أدب الدنيا والدين ٣٥٣/٣.

(٣٢) سورة الإسراء الآية ٢٧.

(٣٣) رواه البخارى في صحيحه (٨٤٨/٢ - كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال، ح ٢٢٧٧)، وفي (٢٢٢٩/٣ - كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من

قال ابن بطال ( ت ٤٤٤هـ ) : اختلفوا في إضاعة المال ، فقال سعيد بن جبير ( ت ٩٥هـ ) : هي : إنفاق المال في الحرام ، وقيل إضاعته : السرف في إنفاقه وإن كان في الحلال[٣٤] . والراجح : أن إضاعته تكون بإنفاقه في غير المأذون فيها شرعًا سواء أكانت دينية أم دنيوية ، لأن الله تعالى جعل المال قياماً لمصالح العباد ومعايشهم ، وفي صرفه وإنفاقه في غير وجهه المشروع إضاعة وتبذير وتفويت لتلك المصالح ، إما في حق صاحب المال وإما في حق غيره[٣٥] .

ومن ثم فإن التمادي في الإنفاق والاستهلاك المباح حتى يصل إلى الحد غير المقبول أو الإنفاق على المحرمات بأي قدر مهما كان ضئيلا ، تجاوز للحد في الإنفاق أي إسراف لا يصح أن يحدث في مجتمع يلتزم بمنهج الإسلام .

ومما سبق يتبين أن الإسلام - بتحريم الإسراف - قد وضع للإنفاق والاستهلاك حدًّا أعلى لا يصح تجاوزه ، وإلا كان المتجاوز - فردًا أو دولةً - ظالمًا لنفسه ساعيًا إلى تحطيم ثروته ، ويكون من قبل ومن بعد - عاصيًا لربه .

فإذا رغب الفرد أو المجتمع في أن يعيش في أمن وأمان فلا يصح أن يتجاوز حدود الإنفاق والاستهلاك لا من أعلى ، بالوصول إلى الإسراف ولا من أسفل ، بالوصول إلى التقتير ، بل عليه أن يتخذ لنفسه طريقًا وسطًا يقع بين الحدين المذكورين . وهو ما سنتكلم عنه - إن شاء الله تعالى- في السطور الآتية . ( للحديث صلة )

---

الكبائر، ح ٥٦٣٠)، ومسلم في صحيحه ١٣٤١/٣ - كتاب الأقضية، باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة، ح ١٧١٥).

(٣٤) انظر : الكرمانى على البخارى ٢٠٨/١٠.

(٣٥)انظر : فتح البارى ٤٢٢/١٠ ، ارشاد السارى ٢٢٩/٤ ،سبل السلام ٦٣١/٤ ، شرح الزرقانى على الموطأ ٤١١/٤.

من أعلام التاريخ الإسلامي في الهند

# الداعية الجليل الشيخ كرامت علي الصديقي الجونفوري

( ١٨٠٠م - ١٨٧٣م )

( الحلقة الأولى )

بقلم : الأستاذ فخر الدين وحيد *

## التمهيد :

منطقة جونفور تمتلك تاريخاً علمياً وإسلامياً تضرب جذوره إلى الأعماق منذ أكثر من ستة قرون . فباتت مدينة العلم والمعرفة ، بداية من سنة تأسيسها في عام ٧٦٢هـ/١٣٦١م[١] ، ومروراً بعصر الدولة الشرقية والدول الإسلامية الهندية الأخرى إلى عصور متأخرة . وبمكانتها المرموقة في مجالات العلم والفكر وحقول الدعوة والإصلاح ، قد تأثر الإمبراطور المغولي شاه جهان إلى حد أنه قال مقولته المأثورة " جونفور شيراز الهند "[٢] ، فلاريب في أن منطقة جونفور لها دور ملحوظ في إثراء الدراسات العربية والإسلامية ، وقد أنجبت هذه المنطقة من الملوك رجالا يتفردون بحسن سياستهم وتنظيمهم للدولة من أمثال ملك الشرق خواجه جهان وإبراهيم شاه الشرقي وحسين شاه الشرقي . وكذلك علماء يندر نظيرهم في الذكاء وخصوبة الفكر والابتكار العلمي ، وفضلاء لا يضارعون في كثرة المؤلفات والإنتاج الجميل فى ميادين العلم والأدب ، نحو القاضي شهاب الدين الدولت آبادي ، والقاضي نظام الدين الغيلاني ، وملا محمود الجونفوري ، والشيخ عبدالأول الجونفوري وغيرهم . أما الدعاة والمصلحون

---

* أستاذ ضيف في قسم اللغة العربية ، بجامعة خواجه معين الدين الجشتي الأردية والعربية والفارسية ، لكناؤ ، الهند .

[١] السيد اقبال الجونفوري : ( تاريخ سلاطين شرقي اورصوفياء جونفور ) ، ج١ ، ص٨٠ ، ط ، اداره شيرازهند ، عام ١٩٨٨م .

[٢] المولوي خيرالدين الإله آبادي : تذكرة العلماء ، ص ٥ ، ألطافي بريس ، كلكته . وأيضا : ثقافة إلهند ، ج ٥٢ ، العدد ٣ ، ص ١٤٦ (الدكتور البروفيسور محمد أسلم الإصلاحى ، مساهمة علماء "جونبور" فى الأدب العربى ، المجلس الهندي للثقافات الهندية ٢٠٠١م ) .

فقد تكاثروا فيها كثرة ما زالت تعرف المدينة بخدماتهم وبصماتهم ، نحو محمد المهدي والشيخ كرامت علي وغيرهم . ولا يشك أحد أن هذه المدينة قد استقطبت نوابغ علم وأئمة فن وجهابذة درس وعباقرة فكر وأكابر دعوة ، لم يشتهروا بتفوقهم في العلم والفن في الهند فحسب ، بل ذاع صيتهم في خارجها أيضا إذ قام بعضهم شخصياً بأعمال لا تقوم بها مجامع علمية أو حركة دعوية في أكثر الأحيان ، أما الداعية الجليل الشيخ كرامت علي الصديقي الذي يدور هذا الحديث حوله ، فقد انبلج صبح حياته في محرم الحرام ١٢١٥هـ/يونيو ١٨٠٠م في أسرة دعوية وعلمية تنحدر سلسلتها من عترة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .[١] كان مجبولاً على الدعوة والإصلاح ، فكان يحتل مكانة عالية جدا فيما يتعلق بالدعوة الإسلامية في الهند فراح فردا في حجم أمة .

**نشأته وتعليمه وتزكيته :**

إنه نشأ في عصر تسوده الفوضى والجهالة والبدعة ، وذلك لأن شركة الهند الشرقية قد أخذت زمام البلاد سياسة وتجارة ، علما وحضارة ، وبدأت الثقافات الأجنبية تتسرب إلى المجتمع الإسلامي ، وأصبح المسلمون كحبة بين شقتي الرحى ، فبسبب هذا التغير السياسي والحضاري خسر المسلمون خسارة فادحة ، وهذه الخسارة الدينية قد أثّرت على مدينة جونفور تأثيراً سلبياً حتى كانت لا يوجد فيها من يتمسك بالشريعة الغراء إلا نادراً حتى إن الزوايا الشهيرة اشتاقت إلى من يملأها حركة ونشاطاً ، ذكراً وابتهالاً ، دعوة وإصلاحاً ، وأقفرت المساجد الكبيرة من عمارها ، لا يوجد فيها داع ولا مجيب ، ولا تقام فيها الخمس، فجامع الشرق الذي بناه الملك إبراهيم شاه الشرقي(ت٨٤٤هـ) حُرم من الأذان والجمعة والجماعة ، وبدأت تستخدم للاحتفالات الدنيوية، والمناسبات القومية حتى لخدمة المواشي والأنعام .[٢] ومن هذا يبدو أن منطقة

---

[١] مولانا عبدالباطن الجونفوري : سيرت كرامت علي ، ص ٩ ، ط ، أسرار كريمي بريس اله آباد عام ١٣٦٨هـ .
وأيضاً : د . عبدالوحيد القاسمي : شيخ كرامت علي صديقي : حيات وخدمات ، ص ٥٢ ، النسخة القلمية في " مكتبة بزم رشيد " في كلية أسماء العربية بجونفور .

[٢] عبدالوحيد القاسمي : شيخ كرامت علي : حيات وخدمات ص ٥٩ .

جونفور بأجمعها كانت تتسكع في ظلام الجهل المطبق ، والأمية الفاشية، والبدع ، والتقاليد غير الدينية في ذلك العصر . وهذا العصر هو زمن ولادة الشيخ كرامت علي ، ولكن رغم هذه الصورة المروعة بقيت أسرة الشيخ عريقة في العلم والدين ، متحفظة بالتراث العلمي والشعار الديني ، متمسكة بالشريعة الإسلامية، فربّاه والده كأحسن ما يتمنّى الوالد أن يربّي مولوده حتى ترعرع متصفا بالخلال والشيم الدينية ، نفوراً من الملاهي والملذات ، عزوفاً عن اللهو واللعب ، ومواظباً على الصلوات الخمس .

تعلّم الشيخ الفارسية والأردية والكتابة ومبادئ العلوم الإسلامية من أبيه ، ثم تلمذ على الأستاذ قدرة الله الرودولوي للحصول على القسط الأوفى من العلوم الإسلامية ، وتلمذ على رحمة الله الأنامي في علوم الحديث ، وعلى أحمد علي التشرياكوتي للتضلع من المعقولات ، وعلى السيد إبراهيم المدني والشيخ عمر بن عبد الرسول الأكملي ، للمهارة التامة في فن القراءة ، وأخذ فن الكتابة من الخطّاط الشهير الحافظ عبد الغني ، وهذا الفن بقي موروثا في أسرته ، وتفوقه في هذا الفن يفهم بأنه كان يكتب سورة الإخلاص مع البسملة بالإضافة إلى اسمه على حبّة من رزّ أو حمّص[1] . ومضافا على ذلك قد هيأ الله تعالى للشيخ في فاتحة شبابه فرصة سعيدة أن يتعلم فن المصارعة ، واستخدام الهراوات ، وطعن الرماح ، وكذلك السباحة ، والرياضة البدنية الأخرى لهدف أسمى؛ وهي الحركة الدعوية التي قادها كما أوحت به الضرورة بإيمان وثبات ، وجرأة وبسالة .[2] وبعد التضلع على العلوم الإسلامية توجه إلى راي بريلي وتمسك بأهداب المصلح الكبير السيد أحمد الشهيد لتعاليم السلوك والمعرفة في سنة ١٢٣٤هـ ، وكان ابن ١٨ عاماً على وجه التقريب .[3] ذكره

---

[1] مولانا نورالدين الجونفوري : تجلي نور(تذكره مشاهيرجونفور)ص ١٣٦ ، أعظم المطابع جونفور .
وأيضا : تذكره مولانا كرامت علي لمولانا مجيب الله الندوي ، ط ، سيد أحمد شهيد اكيدمي ، دار عرفات ، تكيه كلان ، رائ بريلي ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦ م .

[2] مولانا عبدالباطن الجونفوري : سيرت كرامت علي ص ١٧ ، ط ، أسرار كريمي بريس ، إله آباد ،عام ١٣٦٨هـ .

[3] الأستاذ ابو الحسن علي الندوي : كاروان ايمان وعزيمت ، ص ،١١٢ ، ط ، مكتبه اسلام لكهنؤ سنة ١٩٨٤م .

الشيخ في كتابه " زاد التقوى " فقال : " قد علّمني المرشد الخبير أسرار الطريقة والسلوك ثمانية عشر يوماً في مسجد " بريلي " ثم حمد الله وأثنى عليه فقال " تم العمل ولك الخيار في المكوث حتى يومين أو ثلاثة لمزيد من الخبرة والمعرفة " .

**أعماله الإصلاحية والدعوية :**

والشيخ كرامت علي عند ما رجع من رأي بريلي استهل حياته الدعوية والإصلاحية من منطقة جونفور ، وكان داعية بالفطرة ، وعلاقته مع السيد أحمد الشهيد قد زادت همه وغمه للبشرية أضعافاً ، فما لبث أن تجوّل من بيت إلى بيت ، ومن حي إلى آخر ، ومن قرية إلى قرى ، لنفث روح الإيمان ، وبث الثقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولقلع جذور البدع والخرافات والأباطيل من مهدها ، التي فشت في المجتمع آنذاك . وكان حلو الشمائل ، رائق الحديث ، وإذا تكلم تناثرت على فمه آيات القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، فلا تلبث دعوته إلا تلمس شغاف الأفئدة ، وما هي إلا أن ترى الناس شاخصة أبصارهم ، خاشعة أجسادهم كأنهم قد مسّهم سحر . وأثناء دعواته وجولاته لمس الشيخ حاجة كتاب يحتوي على أصول الدين ، فكتب كتاباً يتجلى فيه إخلاصه وشغفه الديني عام ١٨٢٠م/١٢٣٥هـ ، وسمّاه " مفتاح الجنّة " ، وقد نال هذا الكتاب انتشارا واسعا وتقبّله القرّاء بقبول حسن وخصّوه بحفاوة لم يظفر بها أيّ كتاب ظهر عن مبادئ الإسلام في تلك الأيام وتخطّفته الأيدي وتنافست في نشره المكتبات فتلت هذه الطبعة طبعات ، معنى ذلك أن الناس أخذوا الكتاب بعين الاعتبار ، وبفضل هذا الكتاب طار صيته بين الناس كمؤلف ومصلح للأمة .

**تطهير جامع الشرق :**

كان جامع الشرق - الذي تمّ بناؤه على يد الملك إبراهيم الشرقي لتخليد ذكرى المرحوم عيسى تاج - تحت سيطرة المبتدعين وهم يستعملونه لأغراض دنيوية ولمنافع عاجلة فرغب الشيخ في تحريره من استيلائهم لإقامة الصلوات والجمعة ؛ ولم يضمر له هولاء المبتدعون في نفوسهم حقداً دفيناً وبغضاً كميناً فحسب ، بل أفشوا عداء مبيناً ولكن

الشيخ لم يزل يقوم في وجوههم ، وكان جريئاً مقداماً ، لا يخاف الأخطار ولا يخشى المخاوف حتى حالفه التوفيق ، كان ينطلق في عماية الصبح إلى المسجد الجامع وهو يقع على بعد من بيته أكثر من كيلومتر واحد ، فبدأت من مساعيه الصلوات الخمس في جامع الشرق من جديد ؛ كذلك منطقة جونفور صحت من رقادها ، ونشطت من خمولها ، ودبّت فيها الحياة بفضل جهده الجهيد .

والدكتور عبد الوحيد يسعفنا في هذه المناسبة فيكتب : " هذه الأعمال والجولات الدعوية لكل من مناطق جونفور وأعظم كراه وسلطانفور وغازيفور وتأليف مفتاح الجنة وتطهير المسجد الجامع استغرقت أربعة أعوام حتى ١٢٣٩هـ[1] ، معنى ذلك أن الشيخ كرامت علي راح يجول في المناطق المتجاورة لجونفور لغرس الروح الإسلامي والحماسة الدينية في قلوب الشعب المسلم ، ومن الممكن جداً أنه كان يسعى في إيقاظ الحس الإسلامي من أجل مقاومة المستعمر الإنجليزي ودحره وبث الدعاية من أجل الاستقلال والدفاع عن الثقافة الإسلامية وإحياء الخلافة الإسلامية من جديد ، الأمر الذي ينادي به مرشده وشيخه السيد أحمد الشهيد رحمه الله .

**الهجرة إلى بنغال ؛ أرض دعوته :**

حضر قاصد من السيد أحمد الشهيد من "بنارس" ، وهو في طريقه إلى رأي بريلي آئباً من سفر الحج الميمون – برقعة الخلافة بالإضافة إلى أمر من السيد للذهاب إلى ولاية بنغال لفرض منشود مخفي . والشيخ كرامت علي كان رجلاً طيب القلب ، رقيق العاطفة وكثير العطف ، وكان معه العزم والقوة والشباب والفتوة فأسلم نفسه للمقادير وخرج فوراً إلى بنغال سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م ، وما جاوز إلا أربعة وعشرين عاما من عمره وهذا هو أوّل زيارته إلى بنغال غير أن جيمس وائز قد ذكر أن الشيخ قد رافق السيد الشهيد إلى كلكتة في سفره إلى مكة لأداء الحج ، ولكن ما وجدنا أي سند له . وما هو الفرض المنشود لهذا السفر

---

[1] الدكتور عبدالوحيد القاسمي : شيخ كرامت علي صديقي حيات وخدمات (الأردية) ص ٥٩

في مثل هذه السرعة المذهلة ؟ علّه ذهب - كما يقول الدكتور عبدالوحيد القاسمي والأحوال الطارئة تؤيّده " لتوفير الرجال والنشطاء لحركة الجهاد التي يديرها ويشرفها شيخه السيد أحمد الشهيد أم أن له غرضاً آخر لم يبد بعد . وقد يدل على هذا ما كتب الدكتور اي آر رحمان مالك بأن الشيخ كرامت علي قد تجول في كل من مناطق تشنغانه ، نواكهالي ، دكا ، فريدفور وبريسل لتعبئة الرجال وتشهير أمر المجاهدين فهو يقول :

" Karamat Ali travelled through Chittangana, Noakhali, Decca, Faridpur and Barisal to recruit men and to propagate the cause of Jehadis " . [1]

أما هذه الزيارة فقد استغرقت سنة وستة أشهر على الأصح ثم ذهب إلى مكة لأداء الحج ، وجاب البلاد العربية ، وتمهّر في قراءة القرآن أثناء ذلك ، وما وجدنا أي رواية تدل على رجوعه إلى جونفور قبل الخروج لمكة المكرمة ، ثم أقام في كلكتة أياماً معدودات ، وطبع كتابه "مفتاح الجنة " لأول مرّة من كلكتة أثناء الرجوع من سفره الميمون ثم رجع إلى جونفور . وتزوّج الشيخ كرامت علي سنة ١٢٤٤هـ ، ومكث مع أهله بالقرب إلى سنتين وستة أشهر في بيت يرفرف عليه المحبة والسلام ، ولعل أكبر أولاده بنته أم كلثوم قد ولدت أثناء هذه المدة .

وفي سنة ١٢٤٤هـ خرج السيد الشهيد لحرب" بنجتار " وكان الشيخ مشغولاً آنذاك بأعماله التذكارية في منطقة جونفور ، ثم في سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م عندما أراد السيد الشهيد لحرب هي أدهى وأمرّ في حياته وهي " معركة بالاكوت " فلاحقه الشيخ كرامت علي كما يروي لنا المؤرخ جعفر التهانيسري :

" اشترك الشيخ كرامت علي الجونفوري ، ولكن السيد أحمد الشهيد قد رد كوكبة من الدعاة من ساحة القتال ، ومن بينهم الشيخ كرامت علي الجونفوري لاستمرار الدعوة وإحياء الحركة [1] .

---

[1] *British Policy and Bengali Muslim By Dr . A .R . Malik page no 101 published in Decca in 1961*

**تأسيس المدرسة القرآنية :**

رجع الشيخ من معركة بالاكوت على رغم أنفه منقاداً لإيماء السيد الشهيد وطائعاً لأمره ، ولما بلغه خبر شهادة السيد أحمد الشهيد رحمه الله - حامل لواء الحركة - ومصير رفقائه في ميدان بالاكوت ، حزن لذلك وصُدم صدمة ، لا حياة فيه ولا روح ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ولكن استجمع قوته ومواهبه وأحسّ المسئولية التي ألقاها شيخه السيد أحمد الشهيد على كواهله ، فقام ولم يترك ساعةً في الكدح لصالح الأمّة ، واستأنف الجولات الدعوية في جونفور وما جاورها . والشيخ كرامت علي وإن كانت صلته بحركة السيد أحمد الجهادية متينة ، ولكنه لما علم عن مصير مرشده السيد أحمد الشهيد ، لم يفعل شيئاً يجعله عند الإنجليز مشتبهاً في أمره ، فكان يحصل على الإجازة منهم كلما يزور مناطق بنغال لكي لا تنقطع سلسلة حركته الدعوية الإصلاحية . فإنها كانت من أكبر الحركات الدعوية التي بدأت في القرن الثالث عشر الهجري .[٢]

وقد أسّس " المدرسة القرآنية " في جامع الشرق بالتعاون مع الشيخ سخاوت علي الجونفوري ( أحد علماء جونفور ومعاصريه ) ولم تمض إلا شهور حتى غادر الوطن للمرة الثانية ، وكانت المدرسة تحت إشراف الشيخ سخاوت علي ، فأصبح شهيراً كمؤسّس فيما بعد كما أشار إليه الشيخ عبد الأول في كتابه .

**سفر بنغال وآسام :**

ولما بلغ " كلكتة " قبيل سنة ١٢٥٦هـ تأرّج جوّها بعرف أعماله الصالحة ، وفاحت فيها رائحة الدعوات الذكية ، وأنجب ولداً بها ، ثم سافر من بلد إلى آخر ، داعياً إلى الله بكل إخلاص ، وحماسة ،

---

١ جعفر التها نيسري : سوانح احمد ، ص ١٨٤
وأيضا : غلام رسول مهر : جماعة مجاهدين ، ص ٢٢ ط ، غلام برنتر ، لاهور ، باكستان .

٢ للتفصيل عن الشيخ كرامت علي راجع : الدكتور عبدالوحيد القاسمي : شيخ كرامت علي الجونفوري حيات و خدمات .

وعزيمة، يقضي معظم أوقاته في اقتلاع جذور البدعات ، والخرافات ، وجراثيم الرسوم والأباطيل ، وغرس بذرات الإيمان في قلوب الشعب البنغالي ، وإشعال نار الحماسة الدينية ، والإيمان القوي فيهم ، وأقام مدرسة جولية فهي تنتقل حيث هو ينتقل ، وكانت نفقاتها من حسابه الخاص ، وهو يسافر على سفينة ، وهي تجري بهم ، وتسير على بركة الله ، تخترق الماء ، وتجتاز الأودية والصحارى ، من قرية إلى أخرى لأجل الدعوة إلى الله سبحانه ؛ كم نال من حب ورفق وحنان في هذا العمل تجاه محو الأمية وتبليغ رسالة الدين ! واستغرق هذا السفر ثمانية عشر عاماً ، ما شكا غربة ، ولا تألم من الوحدة ، ولم يستحوذ عليه قلق ولا ملال ، هجر الوطن من زمان ، وانقطعت عنه أخباره ، ففكر عن رجوعه ليشاهد الوطن ، وما يجري فيه من أعمال و أشغال ونشاطات ، فوصل الديار عام ١٢٦٨هـ/١٨٥٣م . وعندما وصل خبر قدومه في مدينة جونفور جعل الناس يتوافدون عليه زرافات ووحدانا ، من كل فج عميق ، واستقبلوه بالحفاوة والترحيب ، وهم ينظرون إليه بنظرات الإعجاب ، ويضمرون له ولأهله أصدق آيات المحبة والتقدير ، ألقوا إليه الآذان ومدّوا إليه الأبصار ، وفتحوا له الأفئدة والأذهان ، ففتحت أبواب الدعوة والإصلاح على مصراعيها من جديد وسارت تسير بخطى حثيثة .

**تأسيس المدرسة الحنفية :**

خلال إقامته هذه ، شعر الشيخ أن جونفور في أشد الاحتياج إلى مدرسة تعتني بالدراسات العليا اعتناءا لا بأس به ، لأن " المدرسة القرآنية " كانت مقصورة على حفظ كتاب الله ، فمنح لهذا العمل الجليل – رئيس من رؤساء جونفور- أرضه ، وهو معروف بـ" الرئيس منشي إمام بخش " ، فأسّس الشيخ عليها مدرسة عربية سنة١٢٧٠هـ الموافق١٨٥٥م وسماها بمدرسة حنفية نسبةً إلى الإمام الهمام أبي حنيفة رحمه الله ، واختار العالم الكبير عبد الحليم الفرنغي محلي لمهمة التدريس ، فذاع صيتها الحسن في الأوساط العلمية ، وأصبحت إدارة كبيرة ، ولاتزال تلك المدرسة تهتمّ بالدراسات العليا حتى الآن .

( للحديث بقية )

دراسات و أبحاث

# أمم جزيرة العرب وقبائلها

( الحلقة الأولى )

بقلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

كان سيدنا نوح عليه السلام أباً ثانياً للنوع البشري بعد سيدنا آدم عليه السلام ، وبقيت ذريته في الأرض بعد طوفان نوح ، ويقال : إن سكان جزيرة العرب من ذرية سام أحد أبناء نوح عليه السلام ، ويُقدَّر أن زمن نوح عليه السلام كان قبل ٢٩ أو ٣٨ مأة سنة ، من ميلاد المسيح عليه السلام ، وحقق الباحثون عن وطنه ، فقالوا : هو الجانب الغربي من العراق ، أي في شمال شرق جزيرة العرب ، وفي جنوب شرق تركيا ، من هنا انتشرت ذريته ، وطبقاً للتوراة كان لسيدنا نوح عليه السلام ثلاثة أبناء : سام ، حام ، يافث ، وتوجد ذريات هؤلاء في الدنيا اليوم ، ويمكن أن يكون لسيدنا نوح عليه السلام أبناء آخرون ، لا نعرف ذرياتهم ، وكان منهم كنعان ، غرق في طوفان نوح عليه السلام ، وقد قيل : إن مسكن ذريات حام مناطق إفريقيا المتعددة ، ومسكن ذريات يافث الصين وتركستان ، ويقال : إن إحدى فروع يافث سُميت بآرين ، وبعض فروعها في الهند ، وبعضها في إيران ، ثم سكنت في أوربا ، والعرب وإسرائيل في ذريات سام ، وقال بعض الباحثين : إن إيران وما جاورها من المناطق ، من ذرية سام بن نوح .

كان لسام أبناء ، لكن المؤرخين أثبتوا ذكر ولدين لسيدنا نوح عليه السلام ، كان أحدهما آرام أو إرم ، وآخرهما أرفخشذ ، فالذريات والأسر التي انتشرت في جزيرة العرب أو كانت لها سلطة تنتمي إلى هذين الولدين ، فذريات إرم عاشت إلى زمن طويل ، وما زالت تزدهر ، ثم هلكت وبادت أيضا رويدا رويدا ، لما كفرت بنعم الله تعالى ، واندرست آثارها من جزيرة العرب ، فسميت بالأمم البائدة ، والذريات الجديرة بالذكر هي عاد وثمود وجرهم وطسم وجديس ، وعبد ضخم والعمالقة ،

وقد قيل عن العمالقة : إنهم بطن من فراعنة مصر ، انتقل من شمال جزيرة العرب إلى مصر .

كان من ذريات أرفخشذ بطن سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام وأسرتهما ، وبطن آخر كان جده قحطان ، سكنت أولاد بطن إبراهيم في الشام بعد هجرته ، لكن أولاد إبراهيم من ذرية إسماعيل ومدين استوطنت شمال جزيرة العرب ، وأما الذرية القحطانية فقد استوطنت جنوب جزيرة العرب من قبل ، وكان موطنها من اليمن إلى عمان .

فإن أقدم سكان جزيرة العرب ذرية آرام ، ثم قحطان ، ثم ذريات إبراهيم عليه السلام ، وإن ذرية إسماعيل سكنت في أوسع منطقة ، وسكنت أولاد مدين في شمال الحجاز ، وكان في ذرية إسماعيل عدنان ، وهو جد لبطون باقية لسيدنا إسماعيل عليه السلام .

كما سبق آنفاً أن الذريات الآرامية بادت من جزيرة العرب بعد ما عاشت مدة من الزمن ، فسميت ذرية قحطان أقدم سكان جزيرة العرب، ويطلق على أولاد قحطان اسم العرب العاربة ، ورد بطن إسماعيل من ذرية إبراهيم عليه السلام في جزيرة العرب من بعد ، وسكن في مكة المكرمة، وتوطدت علاقته ببعض بطون قحطان ، فسموا بالعرب المستعربة بدلا من العرب العاربة ، وكان اسمهم الآخر العدنانين ، لأن سلسلة أنسابهم الحالية تتصل بجدهم عدنان ، الذي كان من ذرية إسماعيل عليه السلام ، وإن جميع سكان جزيرة العرب ينقسمون في قسمين فقط : القحطانيون ، والعدنانيون ، وظلت جزيرة العرب منقسمة في هاتين الذريتين ، فكان يملك منطقتها الجنوبية القحطانيون ، ومنطقتها الشمالية العدنانيون ، وإن أقامت بعض ذريتهما بالنظر إلى مقتضيات الحياة ، في مناطق أخرى ، ولما تهدم سد مأرب ( وهو سد منيع للقحطانيين ) هاجرت كثير من ذرياتهم إلى مناطق شمالية من جزيرة العرب .

ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام في العراق ، وحينما تعرضت دعوة التوحيد للمقاومة الشديدة ، وضاقت على إبراهيم الأرض ، هاجر إلى الشام ، وذلك قبل حوالي ألفين قبل ميلاد المسيح ، وكان معه ابن عمه لوط ، الذي آمن به ، فاصطفاه الله لنبوته وحمل رسالته ، نزل كلاهما في مناطق وسطية وجنوبية من الشام ، وظلا يدعوان فيها إلى التوحيد

الخالص وإلى إصلاح الأخلاق ، أسكن إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل وأمه هاجر في وسط الحجاز من جزيرة العرب ، أقام إسماعيل هناك ، وتزوج من بطن قحطان ، وهذه العلاقة كانت سبباً لظهور العرب المستعربة ، أما الذريات الإبراهيمية الأخرى فقد سكنت في الشام أو العرب البائدة ، وهم بنو آرام .

**العرب البائدة ، وهم بنو آرام :**

**عاد :**

إن القوم الذين حكموا العالم وكانوا أول جماعة تسلمت زمام الحكم بعد هلاك قوم نوح عليه السلام ، سمَّاهم القرآن بعاد ، وأطلق عليهم اسم خلفاء قوم نوح ، وكان عاد من ذرية إرم من أولاد سام بن نوح عليه السلام ، ونسبهم القرآن أيضا إلى إرم ، قال تعالى : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ( الفجر ٦ــ ٨ )

إن عظمة عاد ومهارتهم السياسية وقوتهم البدنية كانت معترفاً بها ، وقد أشار إلى ذلك الآيات السابقة الذكر ، ويقول القرآن بلسان عاد : من أشد منا قوة ، وكانوا يبنون مباني شامخة جميلة ، ويغرسون البساتين ، وكانت منطقتهم الشرقية صحراوية و رملية ، وجانباها الغربي والجنوبي جبالا خضراء لليمن وحضرموت ، ومناطق خصبة ، فكانت أوضاع جانبها الشرقي تُحدث فيهم روح الكدح والمعاناة ، وتحدث أحوال جانبيها الغربي والجنوبي أسباب الترف والبذخ ، ذكر القرآن الكريم على لسان هود عليه السلام ، فقال: أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع، لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين (الشعراء: ١٢٨ــ ١٣٠ )

حينما رفضت عاد دعوة نبيها وأصرت على كفر الله وعصيانه ، و واصل الليل بالنهار في دعوة قومها ، وأتم حجتها في إصلاحها أرسل الله عليها عذابا ، أهلكوا به ، وكان العذاب ريحا صرصرا عاتية ، سخَّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام ، قال الله تعالى : وأما ثمود فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخَّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما (الحاقة : ٦ــ ٧ ) هذه المناطق التي يسكنها قوم عاد كانت على نواحي الربع الخالي ، فهبوب الرياح في الصحراء أشد خطراً ، فضلا عن أن تهب عذابا، استمر هذا العذاب إلى ثمانية أيام ، فهلك القوم كلهم ، صوَّر

القرآن حالته بعد نزول العذاب : فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم (الأحقاف : ٢٥ ) وقال : فترى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية ( الحاقة : ٧ــ٨ )

فكان هؤلاء الأقوياء الشداد الغلاظ ، مثل أعجاز نخل خاوية ، حفظ الله تعالى عباده المؤمنين بسيدنا هود عليه السلام من هذا العذاب ، فعاشوا من بعد ، وانتشرت ذريتهم ، ولعَلَّ هؤلاء هم الذين سُموا بعاد الثانية ، لأن القرآن الكريم سمى الهالكين بعاد الأولى ، قال تعالى : وأنه أهلك عادن الأولى ( النجم : ٥٠ )

**بعد عاد :**

إن عاد الأولى كانت أقدم قوم ، وهي تسكن قريبة من جزيرة العرب ، وكانت أمة حاكمة في جزيرة العرب منذ زمانهم ، ولم يكن للقحطانيين في اليمن وأطرافها أثرٌ ولا عين ، فالأمم التي ظهرت في جزيرة العرب كانت بني أعمامها عامة أو عاد الثانية ، وتفصيل ذلك أن عاد الثانية أو قوم معين كانت عاصمتهم بين اليمن وحضرموت ، وكانوا يسكنون فيها ، وفي جنوب سواحل الخليج العربي ، وفي شمال الحجاز كان ثمود بن إرم وفي اليمامة طسم والعمالقة.

اختلف الباحثون في أهل معين ، اعتبرهم بعض المؤرخين عاد الثانية ، وبعضهم يعتبرونهم أجداد العمالقة ، وبعضهم يعتبرونهم ذرية مستقلة.

**عاد الثانية :**

نجى الله تعالى سيدنا هود عليه السلام وأتباعه من العذاب ، فعاشوا بطمأنينة وهدوء ، وهؤلاء هم عاد الثانية في أغلب الأحوال ، مر فيهم ملك صالح باسم لقمان ، من هو لقمان ؟ قد اشتهر في العرب رجل باسم لقمان ، يسميه المؤرخون الآن الحكيم لقمان ، فنسبت إليه القصص الحكيمة والتمثيلات الرائعة كثيراً ، و ورد ذكره أيضا في القرآن مع بعض نصائحه ، وكلاهما واحد ، يذكر شاعر عربي الأمم البائدة في أبياته التي تكشف علاقة لقمان بقوم عاد ، فيقول:

أهلكن طسما وبعده وغذيَّ بهم وذا جدون
وأهل جأش ومأرب وحي لقمان والتقون

كان لقمان مشهوراً جدا في العرب ، وكانت صحيفة حكمته في

العرب ، فكانوا يقرؤونها ، لم يجزم المؤرخون بالقول المحكم المفصل عن عاد الثانية ، فيقدر أن هؤلاء هم الذين مر ذكرهم آنفا ، فكما كان رقي الأمم وانحطاطها كذلك أصيب هؤلاء بالرقي والانحطاط أيضاً.

**معين :**

توجد في معين قرب حضرموت مدينة قديمة ، تعرف بمعين ، قال الجغرافيون : سكنت هنا أمة مثقفة ، كانت لها جولة وصولة إلى مدة ، وحقق بعض الباحثين أن هؤلاء هم عاد الثانية ، وقال آخرون أيضاً : إن العمالقة كانوا من هذه الذرية .

**ثمود :**

نالت ثمود بعد عاد شهرةً وسلطةً سياسيةً ، قال الله تعالى : واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ( الأعراف : ٧٤ )

سكنت ثمود في شمال الحجاز أي في المنطقة الشمالية والغربية من جزيرة العرب ، كان مسكنها وادي القرى ، وهو واد بين المدينة والشام، وكانت في هذا الوادي مستعمرات صغيرة ، لعل هذا هو السبب فيما إذا سُمي بوادي القرى ، وهذا الوادي يتصل بالمدينة المنورة والشام ، وقد رأى الجغرافيون المسلمون أيضا أطلالا حجرية لهذه المستعمرات ، وآثارا قديمة، وهي الآن باقية ، ولعل المراد في سورة الفجر هذا الوادي ، قال تعالى : وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (الفجر: ٩) وإن عاصمة ثمود الحجر ، وهي تقع على الطريق القديم التي تسير من الحجاز إلى الشام ، وتعرف الآن مدائن صالح ، وإن مناطق وادي القرى التي يسكنها ثمود تقع فيها الحجر وعلا وتبوك .

إن أحوال ثمود السياسية غير مسجلة ، إلا أن ثمود كانوا أولي قوة وبأس شديد في شمال جزيرة العرب ، وقيل : إنها سكنت أول ما سكنت في اليمن ، لكن قوم سبأ أخرجتها من اليمن ، فهاجرت إلى الحجاز ، واستقرت في الحجر وضواحيها ، وكانت مبدعة في تشييد المباني ، فكانت تنحت من الجبال بيوتا ، وتصنع من الأحجار أبنية ومقابر ، وبقيت هذه المآثر حتى الآن ، تتجدد منها ذكريات الهندسة البنائية لقوم ثمود ، وقد نقشت فيها لوحات في الخط الآرامي والثمودي ، وقد أضافها الأثريون إلى الأنباط ، الذين قال عنهم المؤرخون : إنهم حكموا هذه

المناطق قبل ميلاد المسيح وبعده ، وسيأتي ذكر الأنباط في بني إسرائيل بإذن الله تعالى .

ذكر القرآن الكريم صناعة بناء ثمود في آيات كثيرة ، قال تعالى : وثمود الذين جابو الصخر بالواد ( الفجر : ٩ ) وقال : وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا ، ( الأعراف : ٧٤ ) وقال : وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ( الشعراء : ١٤٩ ) وقد بعث الله تعالى صالحا عليه السلام لإصلاح ثمود ، فقال : وإلى ثمود أخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا مالكم من إله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ، ولا تمسوها بسوء ، فيأخذكم عذاب أليم ( الأعراف : ٧٣ ) بذل صالح عليه السلام أقصى مجهوداته في هداية قومه ، فلما يئس منهم ، واستكبر قومه استكبارا وعقروا الناقة التي خلقت كآية إلهية من الجبل عتواً وعصياناً ، نزل بهم عذاب الله فدمرهم تدميرا ، ولم ينج من هذا العذاب إلا سيدنا صالح وأتباعه ، وسميت طريقة إهلاكهم بالعذاب في آية ، وفي آية أخرى بالصاعقة والصيحة ، وفسرها بعض المفسرين بالزلزلة ، فكانت هذه الصاعقة ، والصيحة مثل الزلزلة البركانية ، وقد اعترف الجغرافيون قديما وحديثا بأن منطقة ثمود كانت معمورة بالمواد البركانية .

**طسم وجديس :**

كانت هاتان القبيلتان في اليمامة ، وقال بعض الباحثين : إن موطنهما البحرين أي الأحساء ، لكن هذا الاختلاف لفظي ، وهاتان القبيلتان من ذرية آرام ، وهي من الأمم البائدة ، وكانت تحكم هاتان القبيلتان في اليمامة قديما ، لكن كان بينهما اختلاف ومنافسة في إحراز الحكومة ، فتارة تحكم قبيلة ، وتارة تحكم أخرى ، وبعد مدة حكمها ملك غاشم باسم عملوق ، كان من قبيلة طسم ، ففارت جديس من أصوله المخزية واشتعلت هذه الغيرة مثل النار ، فوقعت حروب دامية بينهما ، وانهزمت جديس ، لكن طسما لم تتمكن من الاستيلاء على الحكومة ، فانتقلت هذه الحكومة إلى قبائل أخرى ، واندثرت هاتان القبيلتان وامحت آثارهما ، واشتهر طسم مثالا في الهلاك والدمار ، و ورد ذكر طسم وجديس في القصص العربية ، فيقدر أن زمنها بعد عاد

الثانية، وظلت آثارطسم باقية في ضواحي اليمامة إلى مدة طويلة ، ومن بين آثارها قلعة باسم جون ، قال شاعر :

ألم تر أن الجون أصبح راسياً
تطيف به الأيام ما يتأيس

واشتهرت امرأة من جديس بحدة بصارتها ، تسمى بحذام وزرقاء اليمامة ، وكانت مضرب المثل في بعد نظرها . قال الشاعر :

إذا قالت حذام فصدقوها
فإن القول ما قالت حذام

**العمالقة :**

هم قوم حاكمة وقوية في الشام وشمال الحجاز ، قهرت حكومات هذه المناطق بقوتها ، وأثبتت جدارتها واستيلاءها عليها ، وكان رجالها أقوياء طوالا ، يعتقد بعض المؤرخين أنهم من ذرية معين ، وبعضهم يقولون : إنهم من ذرية آرام ، كان موطنهم أولاً اليمن ، فسكنوا في مكة أو يثرب خروجاً منها ، ثم جاءوا إلى الشام ومصر ، وقيل : إن بطنا من ملوك مصر كان من العمالقة ، وقيل أيضا : إن اسم المدينة السابق ( يثرب ) سموها به، وكان العمالقة أقوياء شداداً مثل عاد، أغاروا على الحكومات المجاورة لها في عصرها ، ولما وصل بنو إسرائيل من مصر إلى جزيرة سيناء كان يحكم الشام العمالقة ، وكان بيت المقدس تحت استيلائهم ، أمر بنواسرائيل بأن يحرروا بيت المقدس من العمالقة ، لكن بني إسرائيل كانوا مصابين بالرعب والدهشة ، فلم يستعدوا له ، و رفضوا مقاومتهم ، وقالوا : يا موسى إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها ، فإنا داخلون ( المائدة : ٢٢ ) ولم تنفع موعظة موسى عليه السلام وتشجيعه على محاربة العدو ، فظل بيت المقدس تحت استيلاء العمالقة إلى مدة ، لكن الله تعالى عاقب بني إسرائيل نتيجة عصيانهم يتيهون في صحراء سيناء أربعين سنة ، قال الله تعالى : قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ( المائدة : ٢٦)

وبعد مدة استرد بنو إسرائيل بيت المقدس من أيدي العمالقة ، وكان بيت المقدس إلى مدة طويلة عند بني إسرائيل .

( للحديث بقية )

# ابن الهيثم والعام العالمي والضوء

بقلم: الدكتور/ جمال الدين الفاروقي ، كيرالا . الهند

إن عام ٢٠١٥م يكاد يأفلُ وينقرض ، وقبل أن يسدل الستار على عجائبها وغرائبها يحسن بنا الوقوف على الإنجازات العلمية الملموسة التي حازها العلامة ابن الهيثم ، والتي من أجلها أعلنت منظمة "يونسكو" لرعاية عام ٢٠١٥م كالعام العالمي للضوء ، وذلك احتفالا بمرور ألف سنة على تأليف كتابه " المناظر " (Book of Optics) الذي هو الأول من نوعه، ولم يكن له مثيل من بين السابقين واللاحقين . وأقيمت عدة برامج علمية وأكاديمية بهذا الصدد في المسارح الوطنية والدولية ، ومنها " ألف اختراع واختراع " تم إطلاقه في يناير عام ٢٠١٥ بمقر يونسكو في بارس . وهذه المبادرة التي قام بها يونسكو تهدف إلى تعريف قطاع البحث والدراسة بأهمية الدراسات البصرية التي يشملها كتاب المناظر ، لكي تكون هذه العلوم في متناول أيدي الدارسين والباحثين على نطاق واسع ولفت أنظار العالم إلى إسهامات ابن الهيثم . ذلك العبقري العصامي الفذ الذي وهب حياته لتطوير العلوم واكتشاف الجديد منها وشق طريقا طريفا للدراسات العلمية على أساس المنهج العلمي المدروس الذي ما تطرق إليه الغرب إلا بعد قرون . والعالم الإسلامي دائماً مدين بالفضل لشخصية ابن الهيثم العلمية .

وقد شاع بين الناس أنه لم تكن هناك أيّ إنجازات علمية قبل النهضة الأوروبية في القرون المتوسطة ، و ظهر الكثير من التأليفات العلمية من هذا المنطلق ، وهي بذلك ، لا تشير إلى العصر الذهبي للعلوم والاكتشافات التي احتضنها العرب المسلمون منذ القرن التاسع مما ازدهرت به بغداد والقاهرة وقرطبة . وما زالت مدارس الفكر والمراصد الجوية والمؤسسات العلمية التي أنشأها السلف ، تنطق بعظمتهم وتشهد لمناقبهم .

كان من مواليد البصرة عام ٩٦٥م / ٣٥٤هـ ، وكانت تلك المدينة مصدر العلوم والفنون آنذاك ، ومورد الشعوب والأمم من مختلف

الثقافات ، مما استطاع ابن الهيثم أن ينهل من مناهل العلوم ، وقد قرأ الكتب الإسلامية في صغر سنه ، وتأثر كثيرًا بالإرشادات القرآنية فيما يتعلق بالخلق والمخلوقات ، وعكف على أسرارها منذ عنفوان شبابه. وحاول أن يكشف غموضها ، ولم يكن أمامه إلا المفاهيم اليونانية التي تتمثل في مؤلفات أرسطو وسقراط وبطليموس ، وهي - رغم غنائها العلمي - لم تكن مبرهنة من حيث التطبيق . وبقيت هي على حالها كفرضيات علمية الأكثر احتمالا للرفض والإنكار . والتحديات المعضلة أمام ابن الهيثم استخراج هذه المفاهيم العلمية من إطار الفرضيات الضيق وتقديمها إلى العقل الإنساني بصورة منقحة مقبولة . واقتحم المشاق وتجشم المصاعب لتحقيق هذه الإنجازات التي تبهر العيون وتحير الألباب .

## علو كعبه في العلوم المختلفة :

حاز أبو على الحسن بن الحسن بن الهيثم قصب السبق في مختلف العلوم ، مثل علم الفلك والهندسة والبصريات والفيزياء وطب العيون والفلسفة العلمية والرياضيات . وقد بلغ من موثوقيته في علوم الرياضيات أن قام بتطوير الهندسة المدنية بهدف تنظيم فيضانات النيل . ورد ذكره على لسانه في كتاب " إخبار العلماء بأخبار الحكماء " حيث يقول : " لو كنتُ بمصر لعملتُ بنيلها عملاً يحصل النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقصان " . ولما سمع ذلك الخليفة الفاطمي الحاكم بالله استدعاه وأمره بالقيام به ، ووعده بكل التسهيلات . وزار الموقع الذي أراد بناء السدود ، ولكن بعد الدراسة أدرك أنه لا جدوى من ذلك لضعف الإمكانات المتاحة آنذاك فترك المهمة ، وخوفاً من بطش الخليفة تظاهر بالجنون ، وحبسه الخليفة في منزله ، وبقي في الحبس المنزلي عشر سنين (١٠٢١-١٠١١) ولم تكن هذه الأيام فترة اكتئاب وانكسار ، بل وأكثر من ذلك انتهز الفرصة وأكمل تأليف عمله الرائع " كتاب المناظر " مما صار نقمة الخليفة نعمة له . وبعد وفاة الخليفة أطلق من حبسه وبقي في مصر حتى عام ١٠٣٨م ، وفي خلاله أيضا كتب عشرات الأطروحات في الفيزياء والفلك والرياضيات . ثم ارتحل إلى الأندلس حيث قضى وقته للدراسات حول البصريات والرياضيات والفيزياء وعلوم الطب ، وقام

ببعض التجارب العلمية في كل هذا المجال مما صار نبراسا لعلماء الغرب فيما بعد ، وقد أعجبهم الرجل باكتشافاته العلمية ولقبوه " بطليموس الثاني " (Ptolemaeus Secundus)

**أبرز أعماله :**

إلى جانب كتاب المناظر ترك ابن الهيثم ذخيرة كبيرة للدراسات العلمية والمكتشفات الحديثة . وكلها تتميز بطابعها العلمي في المعنى والمغزى ، والناظر في هذه المؤلفات يدهش كيف استطاع الرجل للدراسات الكونية في تلك الأيام التي لم تكن الوسائل متاحة ولم تكن العلوم ناضجة . وهذه المؤلفات تربو على مائتين ، إلا أنه لم يتوافر منها إلا خمس وخمسون كتابا . وأبرزه : ميزان الحكمة ، تصويبات على المجسطي ، مقالة في المكان ، التحديد الدقيق للقطب ، كيفية حساب اتجاه القبلة ، المزولة الأفقية ، رؤية الكواكب ، مقالة في تربيع الدائرة، المرايا المحرقة بالدوائر .

**الاعتراف العالمي :**

يقول أرنولد في كتابه " تراث الإسلام " إن علم البصريات وصل إلى الأوج بظهور ابن الهيثم ، ويضيف سارطون : إن ابن الهيثم أعظم عالم ظهر عند المسلمين في علم الطبيعة ، بل أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى .

الشاعروالروائي الأمريكي Bradley Stefanas وصف ابن الهيثم " أول عالم " . وقد ألف كتابا في ترجمته ، وأطلق عليه " العالم الكوني الأول" (The first Scientist) والكتاب يوضح لِمَ سُمِيَ الرجل بهذا الاسم، كما يؤكد أن ابن الهيثم هو الذي قدم المنهج العلمي العريق الذي يعتمد عليه في الدراسات العلمية الحديثة . وقد أقبل الباحثون على إنجازات ابن الهيثم العلمية بعد صدور هذا الكتاب بصورة زائدة ملحوظة.

رغم كل هذا يحاول البعض طمس الحقائق وتزوير التاريخ الواقع. ويقدمون اسم إسحاق نيوتن إلى مسرح الدراسات العلمية قائلين بإنه رائد الدراسات البصرية في العالم . والحق الذي لا ينازع فيه أحد أن ابن الهيثم هو الذي تصدى لهذه الدراسات قبل إسحاق نيوتن بسبعة قرون أو يزيد . وتقديرًا لجهوده أطلق اسمه على إحدى الفجوات البركانية على سطح

القمر ، وفي عام ١٩٩٩م أطلق اسمه أيضا على إحدى الكواكب المكتشفة (Al Hazen) ، كما أطلق اسمه على عدد من المنشآت العلمية في العالم العربي والغربي .

وقد تأثر بالعلامة ابن الهيثم الكثير من العباقرة من أمثال : عمر الخيام وابن رشد وكمال الدين الفارسي ، وهو الذي قام بتطوير دراساته في " تنقيح المناظر " ، وتقي الدين الشامي ، وجون بيكهام ، وروجر باكون ، وجون والبس ، وإسحاق نيوتن وديكات وغيرهم كثير .

**البصريات وكتاب المناظر :**

ترك ابن الهيثم بصماته واضحة جلية في علوم البصريات . وله فيها آراء موفقة . وقد قام بتصحيح بعض المفاهيم العلمية التي قدمها أرسطو وبطليموس وإقليدس، وأثبت أن الضوء يأتي من الأجسام إلى العين ، وليس بالعكس كما يعتقد في تلك الأيام . وأفكاره هذه فاتحة حقبة جديدة في مجال الدراسات عن البصريات . والمفهوم السائد في تلك الأيام ما استمد من تعاليم إقليدس وبطليموس التي تشكلت منها نظريتان بارزتان في علم البصريات وهما : نظرية الانبعاث (Emission Theory) التي تنص على أن الإبصار يتم اعتمادا على أشعة الضوء المنبعثة من العين . ونظرية الولوج (Intromission Theory) ويراد بها دخول الضوء للعين بصورة فيزيائية .

وبما أن لهم الهيمنة العلمية في تلك الأيام بقيت اكتشافاتهم على حالها مقبولة مرضية ولم يطاول عليها أحد . ولكن العلامة ابن الهيثم تناول هذه الفرضيات في كتابه المناظر ، وبعد إجراء دراسة جدية في الموضوع رفضها باتاً . وبموجب الفرضية الأولى لو هممنا أن نرى نجماً بعيداً ، يتطلب ذلك خروج أشعة من العين ووصولها إلى ذلك النجم الذي يقع على بعد الملايين كلومتر ، مما يأخذ عملية الرؤية عدة أيام وأسابع . وهذا محال ، وكذلك دحض فرضيات أرسطو ، إذ أنها لا تمت بصلة إلى المفاهيم العلمية المقبولة والمعقولة . ووضع نظريته ناجحة تفسر عملية الرؤية بأنها تحدث نتيجة خروج الأشعة إلى العين من كل نقطة في الكائن ، وأثبته عن طريق التجارب . كما أنه قام بتطوير ظاهرة انكسار الضوء . وهو انحراف الصورة عن مكانها في حال مرور الأشعة

الضوئية من وسَط معيّن إلى وسَط غير متجانس معه .

وقد نجح كذلك في توحيد علم البصريات الهندسية مع فرضيات أرسطو الفيزيائية ، ومنها تشكل أساس علم البصريات الفيزيائية الحديثة . وقد أثبت بتجاربه أن الأشعة تسير في خطوط مستقيمة . وقد أجرى عمليات أخرى حول العدسات والمرايا في حالات الانكسار والانعكاس . وتطور منها نظرياته في الأشعة المنعكسة والمنكسرة أفقيا ورأسيا . وكانت هذه النظريات خطوة أساسية في تطور البصريات الهندسية . وقد استخدم المرايا الكروية والمقعرة والزيغ الكروي ، وأوضح أن النسبة بين زاوية السقوط وزاوية الانكسار ليست متساوية . والجزء الخامس من " كتاب المناظر " خاص بالدراسات المعروفة بـ "مسألة ابن الهيثم " ، وهي عبارة عن رسم خطين من نقطتين على سطح دائرة لتجتمعا في نقطة على محيط الدائرة ويصنعان زاويتين متساويتين مع المستوى العمودي على السطح عند تلك النقطة . والتطبيق الرئيسي لهذه المسألة في علم البصريات " إذا كان لدينا مصدر ضوء ومرآة كروية ، كيف نحدد النقطة على المرآة التي ينعكس عليها الضوء لعين الناظر " . واعتمادا على " المناظر " تم تطوير الدراسة حول ظاهرة قوس القزح .

كما يرجع الفضل إليه في صياغة مبادئ الكاميرا ، واكتشف الكاميرا المظلمة والكاميرا ذات الثقب . وقد سبقه في ذلك أرسطو والفيلسوف الصيني موزي بدراساتهم عن الآثار المرئية على مرور ضوء واحد عبر ثقب صغير، إلا أنهم لم يذكروا أن الضوء سيُظهر على الشاشة صورة كل شيء في الجانب الآخر من تلك البؤرة . وفي كل هذا نراه يعمد إلى المنهج العلمي المبني على التجربة المدروسة ومراقبة الأحوال والتطورات في خلال إجرائها واستقراء النتائج ، ومن باب أولى ، يمكن القول : إنه آثر الاستنتاج الاستنباطي في جميع القضايا .

أسدل الستار لحياته الحافلة بالإسهامات العقلية والعطاء العلمي عام ١٠٤٠م . رحم الله ابن الهيثم وقد عاش خلال عمره الواحد جيلا قد مضى وجيلا رافقه وجيلا يأتي بعده ، وفارق الدنيا ليعيش في القلوب إلى الأبد .

# الأدب العربى بين القديم والحديث : ومضات نقدية

( الحلقة الأولى )

الأخ محمد سليم *

إن الأدب كائن حىّ ينمو ويتطوّر ، ينتعش ويتجدّد ، ينضج ويزدهر . وهو مرآة صافية للعصر الذى يعيشه ، وصورة صادقة للمجتمع الذى يصوّره ويحيا فيه ، ومخزن للمواقف الفكرية التى يتبناها أهله ، وخزانة للأفكار النظرية التى ينتجها ذووه ، وعصارة للمستجدات الفنية التى يبتكرها بنوه . وحظّ الأدب العربى – قديمه وحديثه – من هذا كله أكبر وأعظم وأوفر . فهو أدب تطوّر ونضج فى وقت كانت الآداب الأخرى فيه تحبو وتزحف . إنه أدب ذاق مرّ الحياة وحلوّها ، وشاهد حضارة عربية فى أوج مجدها كما تجرّع كئوس الخيبة والمرارة فى عهد ذبولها . يقول الدكتور أحمد هيكل بهذا الشأن :

" الأدب مثل كائن حي ، لايمكن أن يعيش إلا بالتطور والتجديد ، لأنه إذا ظل على صورته أصيب بالتوقف والتجمّد ، وقد عرف تاريخنا الأدبى هذا على امتداد القرون وتعدّد البيئات . . فكل ما كان من ازدهار لأدبنا العربي قد ارتبط بالاستجابة للتطور والتفتح للتجدد ، وكل ما كان من تخلف لهذا الأدب – فى بعض الفترات أو البيئات – كان أثرا من آثار الانغلاق والتقوقع "١ .

**الأدب العربي بين ديوان العرب وبين ملحمة العصر الحديث :**

الأدب العربى بين ازدهاره فى القديم إبان العصر العباسى ونهضته فى الحاضر شهد فترة طويلة من الزمان ظل فيها متخلفا راكدا ، ووضلّ فيها سيره وطريقه . كان هذا الأدب بفنّه الشعرى فى أول عهده "ديوان العرب" ، ثم صار حامل لواء الإسلام فى العصر الاسلامى الأول وبعده أصبح أدب الكمال والجمال فى العصر الذهبى للحضارة العربية . لكنه بعد سقوط الخلافة العباسية أصيب بتخلف وركود ، واعتراه جمود وهمود . فضلّ الطريق لقرون عديدة ، يتخبّط فى دياجير الظلام ويتبعثر ،

---

* الباحث فى الدكتوراة ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي ، الهند .

ويحاول محاولات مستميتة وحثيثة لأن يقف على قدميه بثبات وصمود أمام طوفان الزمان إلا أن الحظ لم يكن يؤاتيه و قد قدّر له أن يجد نفسه ملفوفا في ظلام دامس حالك يلفه ويهضمه ويكاد يفنيه لولا النهضة العربية الحديثة التي أتت بتطورات هائلة وتغيرات جذرية نهضت بأدبنا نهوضا واسعا . فوثب الأدب وثبات ، وطفرت فنونه طفرات . وحاز الأدب العربي نصيبه من الحياة وحظّه من الثقافة وعادت إليه شوكته من جديد، كما عاد إليه اعتزازه بمجده ، وافتخاره بعلو شأنه حتى صار فن الرواية - أحد المستجدات الفنية - ملحمة العصر الحديث .

**بين القديم والجديد :**

في ظلّ بلورة المعطيات الحضارية والثقافية الحديثة ، رأينا من أدبائنا مَن تثقفوا بثقافات غربية وعربية ، وقرأوا في النظريات النقدية والأدبية الحديثة وتأثروا بها . كما قاموا بإمعان النظر في أمهات الكتب العربية مما مهّد لهم السبيل للوصول إلى نقطة سديدة للجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وللتوفيق النافع بين الأصالة والتجديد أو بين التراث و المعاصرة ، اعتقادا منهم بأن الأدب العربي له أصل ، له جذور ، وله تاريخ مشرق زاهر وثري ، وإيمانا منهم بأن ربط الحديث بالقديم الموروث يعطي الأدب قيما ثقافية ويغذيه بمواد صالحة للتطور والثراء . يقول الدكتور محمد حسين هيكل : " كل عصر يتّصل بما قبله اتّصال البنوة بالأبوة والوارث بالموروث "٢ . ويقول الدكتور محمد غنيمي هلال : "فالتجديد لا يقطع الصلة نهائيا بالقديم ، وإن جدّد من قيمه ومعالمه ، ولم يكن للجديد أن يتولّد بدون القديم "٣ . وأدباؤنا في العصر الحديث عملوا عليه ودعوا إلى ذلك عن وعي تام بأن الأدب العربي كان أدبا غزيرا وثريا وعظيما في القديم من الزمان . كان آنذاك أدب أرقى وأفضل وأقوى وأغنى حضارة في العالم كلّه . فإذا احتلت لغتنا هذه المكانة في الماضي فلماذا لا تحصل عليها في الحاضر . ومن هذا المنظور الثقافي والحضاري دعا أدباؤنا إلى النهوض بالأدب العربي والأخذ بأسباب العلم والحضارة والثقافة الغربية منها والشرقية .

**الأدب العربي القديم :**

يقول عنترة بن شداد:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

تكلّمنا فيما مضى عن حيوية الأدب العربي وقوة بقائه على مرّ العصور بالرغم من مدّ الأيام وجزرها ، ولم يكن ليتهيأ له هذا البقاء والخلود لو لم يكن فيه ذلك العنصر الحيوي والراسخ ، ألا وهو عنصر التجدد والتكيف مع كل بيئة ومجتمع وحضارة . خرج من الجاهلية إلى الإسلام ، ومن البداوة إلى الحضارة ، ومن المناخ العربي إلى سواه . ومع ذلك بقي على أصالته بالرغم من انفتاحه أو لأجل انفتاحه على العالم حوله وتجدده في كل عصر ومصر . وهذا التجدّد ومقارنته بالقديم كانا موجودين منذ قديم الزمان . فها هو عنترة بن شداد يقول :" هل غادر الشعراء من متردم" وقول عنترة هذا يدلّ حسب قول ابن رشيق صاحب "العمدة " : على أنه يعد نفسه محدثا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئا ، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم ، ولا نازعه إياه متأخر"٤ . ويقول ابن رشيق مضيفا : " كل قديم من الشعراء محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله "٥ .

هذا وإذا رأينا في الأدب الجاهلي نجد أن الشعر فيه كان قوام المجتمع الجاهلي ، ودعامته المتينة ، وكان إحدى الركائز الأساسية التي يرتكز عليها ذلك المجتمع في أفراحه وأتراحه ، في آلامه وآماله ، في أمانيه وطموحاته . وكان الشاعر يعتبر مفخرة القبائل وشأن عز و جاه لذويه . إضافة إلى ذلك كان قائدها في بعض الأحيان في حربها وسلمها ، في سرّائها وضرّائها . يقيم الناس ويقعدهم بكلماته السحرية ، ويأسر أذهانهم ويسحر قلوبهم بأشعاره الرائعة . ونجد أدبه في كل ذلك مطبوعاً بطابع بيئته ومعيشته ، ومرسوماً برسم أوضاعه البدوية . وكذلك في النثر نجد له أشكالاً في كلام الكهنة المسجوع وفي الخطب والأمثال . ويتقدم بنا الزمان ويواصل الأدب العربي بفنيه المنثور والمنظوم سيره إلى الأمام حتى وصل إلى العهد الإسلامي الذي أتى بقيم عقلية وروحية اجتماعية وسياسية جديدة ، ومصطلحات تعبيرية عديدة ومثل خلقية مختلفة . وما لبث الأدب العربي أن هضمها جميعاً وانساق وراء التمثيل لتلك القيم والمثل انسياقا . فبدأ الشعر يتدفق على ألسنة الشعراء المسلمين تدفقاً واسعاً . لم يتوقف الشعر بعد مجيئ الإسلام كما يظن البعض بل بدلا من ذلك اتسعت دائرته ورقعته ، وبهذا الصدد يقول الدكتور شوقي ضيف : " ومن الظلم للإسلام أن يقال إنه كفّ العرب عن الشعر ، ووقف نشاطه ، فقد كان

يُنشد على كل لسان ، وساعدت الأحداث على ازدهاره . . . ولعلنا لانبالغ إذا قلنا إن الإسلام أذكى جذوته ، وأشعلها إشعالا"٦ .

ومما دفع الشعراء المسلمين إلى قرض الشعر هو الدفاع عن الدين الإسلامي والذود عن حياضه . فمنهم من جعل شعاره " سأستلك منهم كما تستل الشعرة من العجين " ، ومنهم من قرض قصيدة تاريخية شهيرة " بانت سعاد " . ويحدث كل هذا في حين يحتدم الصراع فيه بين أهل الشرك وأهل التوحيد ويشتدّ . والنثر في العهد الإسلامى تأثر بكل ما أتى به الإسلام تأثراً بالغاً . تغيرت موضوعات الخطب وكلام الخطباء ، وأصبحت تنهل من مناهل الإسلام الصافية والشافية ، وأصبحت الخطبة نفسها عبادة دينية وواجباً دينياً وفناً ضرورياً للمجتمع الجديد . ويخطو الأدب العربي خطوات حتى يصل إلى العصر الأموي فنرى فيه ظهور الخطب السياسية وشعر النقائض والشعر السياسي . وجمع الشعراء بين المفاخرة والثناء وبين الهجاء والتنديد . جرير والفرزدق والأخطل صاروا من فحول الشعراء . وانتعش الشعر على أيديهم انتعاشا كبيرا ، وقفز قفزات واسعة . وفي ذلك يقول الدكتور أحمد حسين هيكل في كتابه : " ثم بدأ الشعر يعود إلى الانتعاش في العصر الأموي ، فعبّر عن الإنسان العربي الجديد ، وعن مجتمعه وقيمه ، ولكن مع بعض الرواسب من العصر الجاهلي ، وهي رواسب كثير منها فني يتصل بتقاليد الشعر ويرتبط بموروثه في الشكل والأسلوب وطريقة التصوير والتعبير "٧ . ويكرّر نفس القول الدكتور أحمد ابراهيم في كتابه " تاريخ النقد العربي عند العرب": " يختلف زهير عن طرفة ، وذوالرمة عن جرير ، وعمر بن ربيعة عن المرجى، ولكنه اختلاف الجداول انحدرت عن جبل واحد ، وأخذت ماءها من سحب واحدة ، اختلاف في التطبيق ، واختلاف في التأنى للأمور ، فأما الأصول التي تحتذى ، فأما المناحى العامة فواحدة لا اختلاف فيها "٨ .

**العصر العباسي :**

يقول أبوتمام :

يقول من تقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر

في العصر العباسي الأول نجد تغيرا كبيرا في الشعر العربى وبيئته. ظهر في هذا العهد أعلام من الشعراء الفحول الذين أثّروا في الوجدان العربي وأثروا الأدب العربي إثراء ، من أمثال أبى نواس وأبي تمام والبحتري

وأبوتمام هذا يعتبر إمام المولدين . ويرجع إليه الفضل في القيام بالثورة على عمود الشعر العربي القديم وفي هذا الباب نجد كتابا للآمدي يقارن بين أبي تمام والبحتري ، وكتابا لابن رشيق باسم "العمدة" يعقد فيه باباً في القدماء والمحدثين" ويبحث فيه عن هذه القضية بحثا دقيقا . وهذا يعني أن الجدال بين القديم والحديث قديم قدم الأدب العربي نفسه . أما الخطابة فضعفت في هذا العهد ، وعلا شأن الرسائل الرسمية كما ازدهرت الرسائل الأدبية ومن أبرزها كتابات عبدالله ابن المقفع . وفي العصر العباسي الثاني أصبح الأدب العربي أوسع رحاباً من ذي قبل . وبدأ يشمل الفنون والعلوم المنقولة والمترجمة وبدأ يتأثر بالتيارات الفلسفية والفكرية والعقلية الناجمة عن التلاقح الحضاري الكبير الذي شهده مشهد الأدب والفكر العربيين في هذا العهد الذهبي . وكان من آثار هذه التطورات الكبرى أن رأينا ظهور الشعر الفلسفي والفكري الغني والنثر الأدبي الزاخر ببحوث ودراسات ثريّة تبحث عن قضايا الفكر والثقافة وتناقش في قضايا الفلسفة ، يقول الدكتور أحمد هيكل بهذا الصدد: "ومن هذه الملامح التي أضافها تاريخ الشعر العربي في العصر العباسي كذلك ، والتي شاركت في تشكيل صورته الأصيلة وطبيعته المميزة : هضمه للثقافة العميقة ، حتى ولوكانت موغلة في العقلانية ، على أن تخرج بعد ذلك شعرية رفافة ملائمة لطبيعة الشعر ، ثم مرونة قوالبه اللغوية والموسيقية والتصويرية بما يلائم حركة الحياة ومتطلباتها في البيئة الجديدة "٩ .

وفي ظل هذا الازدهار الفكري والتطور العقلي نرى نبوغ الأدباء الكبار والشعراء الفحول أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الهمداني وغيرهما . وكذلك خطا النثر في العصر العباسي خطوات واسعة كبيرة وواكب نهضة العصر ، ولحق بركب التقدم الحضاري والثقافي واستوعب المظاهر العلمية والفلسفية والفنية . ولعلنا لا نكاد ننصف في تقويمنا للأدب القديم إذا ما نتصفح جانبا عن الأدب الأندلسي الذي أثرى لغتنا و أدبنا بتقديم نماذج جديدة في الأدب العربي في شكل الموشّحات وشعر الجزل مما كان له دور كبير وشأن عظيم في إيضاح قدرة اللغة العربية والأدب العربي على التكيف مع بيئات مختلفة .

**عصر الانحطاط :**

وبعد انهيار الدولة العباسية وسقوط الأندلس تبعثرت خطى الأدب

العربي إلى حد كبير. إلا أنه سيكون هذا من غير الإنصاف أن نطلق على وجه العموم على العهود المتعاقبة بعصر الانحطاط والتخلف الكاملين. وذلك لأنه قد بقي بعض بصيص أمل ونور ضئيل يشرق من هنا وهناك ، وقد كتب بعض أدباء أمهات الكتب في هذا العهد إلا أن مساهماتهم لم تستطع أن تفضّ الغبار الذي تراكم على الحياة الأدبية والفكرية في العالم العربي. ولاريب في أن ما كتب في عصر المماليك لم يكن في الأغلب والأعم أدبا غنيا كما كان الحال في العصور السابقة. فقد ساد التخلف ، وعمّ الركود ، وغلب الجمود ، وفترت الهمم ، وضعفت العزائم ، وران على العقول والقلوب غبار كثيف. وفى ذلك يقول الدكتور أحمد هيكل : " ومن هنا أصبح الأدب في حالة من السقم تقارب الموت . . . فكانت تمثله نماذج نثرية وشعرية هزلية ، ليس وراءها أي صدق إحساس أو فنية تعبير ، بل ليس وراءها حتى تقليد لتلك النماذج الرائعة من أدبنا في عصور الازدهار"١٠ . ( للحديث صلة )

**الحواشي :**

١ . الدكتور أحمد هيكل ، في الأدب واللغة- القاهرة- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- ط٢- ٢٠١٠م- ص ٢٥ .
٢ . الدكتور محمد حسين هيكل ، ثورة الأدب- القاهرة- ص٤٠ .
٣ . الدكتور محمد غنيمى هلال ، قضايا معاصرة في الأدب والنقد- القاهرة- دارنهضة مصر للطبع والنشر- ص ٤٢ .
٤ . ابن رشيق القيروانى ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه- ص ٥٠ .
٥ . المصدر السابق - ص ٤٩ .
٦ . الدكتور شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى- القاهرة- دار المعارف- ط١١- ج٢- ص ٤٦ .
٧ . الدكتور أحمد هيكل ، دراسات أدبية - القاهرة- دارالمعارف- ط١- ١٩٨٠- ص٣٠- ٣١ .
٨ . طه أحمد ابراهيم ، تاريخ النقد العربى عند العرب- مكة المكرمة- الفيصلية- ٢٠٠٤- ص ١١٤ .
٩ . الدكتور أحمد هيكل ، دراسات أدبية - القاهرة- دارالمعارف- ط١- ١٩٨٠- ص٣٣ .
١٠ . الدكتور أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر- القاهرة- دارالمعارف- ط٣- ص ١٨ .

صور وأوضاع

# حادثة باريس وانعكاساتها على مجهودات الأمن والسلام في العالم

بقلم : الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

كانت قوى العالم قد اجتمعت في فيينا عاصمة جمهورية النمسا الفيدرالية في ٣٠ / أكتوبر ٢٠١٥م لحل قضية سوريا واتخاذ موقف عن مصير رئيس سوريا بشار الأسد الذي كان يدور حوله الخلاف بين أوربا الغربية وروسيا التي تمثل أوربا الشرقية ، فكان الرئيس الروسي بوتين يصر على بقاء الأسد ؛ لأن سوريا كانت آخر معقل للنظام الاشتراكي بعد سقوط العراق إثر الهجوم الأمريكي عليه ، وقد نالت سوريا دعم روسيا عسكرياً وسياسياً ،واستخدمت روسيا حق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للدفاع عن النظام القائم في سوريا ، وكانت الظروف تشير إلى صراع بين روسيا وأمريكا والدول الحليفة لها التي كانت ترى حل الأزمة في تنازل الأسد عن الحكم .

وقد اجتمعت القوى العالمية ( ١٧ دولة بالإضافة إلى منظمة الأمم المتحدة والاتحاد الأوربي وجامعة الدول العربية ) لحل هذه الأزمة التي ذهب ضحيتها مئات الألوف من السكان ، وشرد مئات الآلاف في مختلف أنحاء العالم ولجوئهم في الدول الأوربية التي أظهرت تعاطفها مع اللاجئين السوريين كألمانيا ودول أوربا الأخرى ، وقامت بإيواء العدد الأكبر من اللاجئين تركيا وهي عضو الناتو ، وكان يخشى أن تتعرض تركيا للهجوم ، وقد تدهورت العلاقات بين سوريا وتركيا ، وهددت روسيا تركيا بعواقب التعاون والتعاطف مع المجاهدين في سوريا ، وفعلاً بعثت روسيا قواتها إلى سوريا وساندت قوات سوريا في الهجوم على المجاهدين ، مما أدى إلى مجابهة بين أمريكا وحلفائها وروسيا .

والتقى المجتمعون في فيينا في ٣٠/ من أكتوبر - وهم الصين ومصر والاتحاد الأوروبي وفرنسا وألمانيا وإيران والعراق وإيطاليا والأردن ولبنان وعمان وقطر وروسيا والسعودية وتركيا والإمارات والمملكة المتحدة والأمم المتحدة والولايات المتحدة - لبحث الوضع الخطير في سوريا وسبل إنهاء العنف في أقرب وقت ممكن ، وأجرى المشاركون مناقشات شملت القضايا

الرئيسية ، ولا تزال توجد خلافات جوهرية بين المشاركين إلا أنهم توصلوا لتفاهم مشترك على النقاط التالية :

"١ـ وحدة سوريا واستقلالها وسلامة أراضيها وهويتها العلمانية أمور أساسية

٢ـ مؤسسات الدولة ستظل قائمة .

٣ـ حقوق كل السوريين يجب حمايتها بصرف النظر عن العرق أو الانتماء الديني .

٤ـ ضرورة تسريع كل الجهود الدبلوماسية لإنهاء الحرب .

٥ـ ضمان وصول المنظمات الإنسانية لكل مناطق سوريا وسيعزز المشاركون الدعم للنازحين داخليا وللاجئين وللبلدان المستضيفة .

٦ـ الاتفاق على ضرورة هزيمة تنظيم " داعش " وغيره من الجماعات الإرهابية كما صنفها مجلس الأمن الدولي واتفق عليه المشاركون .

٧ـ في إطار العمل ببيان جنيف ٢٠١٢م وقرار مجلس الأمن الدولي ٢١١٨ فإن المشاركين وجهوا الدعوة للأمم المتحدة لجمع ممثلي الحكومة والمعارضة في سوريا في عملية سياسية تفضي إلى تشكيل حكومة ذات مصداقية وشاملة وغير طائفية على أن يعقب تشكيلها وضع دستور جديد وإجراء انتخابات . وينبغي إجراء هذه الانتخابات تحت إشراف الأمم المتحدة بموافقة الحكومة وبالتزام أعلى المعايير الدولية للشفافية والمحاسبة وأن تكون حرة نزيهة يحق لكل السوريين ومنهم المغتربون المشاركة فيها .

٨ ـ سوريا هي التي تملك وتقود هذه العملية السياسية والشعب السوري هو من يحدد مستقبل سوريا .

٩ ـ المشاركون ومعهم الأمم المتحدة سيدرسون ترتيبات وتنفيذ وقف لإطلاق النار بكل أنحاء البلاد يبدأ في تاريخ محدد وبالتوازي مع هذه العملية السياسية الجديدة . وسيعكف المشاركون في الأيام المقبلة على تضييق هوة الخلافات المتبقية والبناء على نقاط الاتفاق . ويجتمع الوزراء خلال أسبوعين لمواصلة هذه المباحثات " .

قبل اختتام اجتماع فيينا الذي كان يبشر بحل قضية سوريا ، وقعت حادثة الهجوم الانتحاري في فرنسا ، واتهم داعش بتدبير هذه التفجيرات التي أدت إلى مقتل ١٢٩ شخص وإصابة نحو ٣٥٨ شخص .

وقد أثارت هذه الحادثة المفجعة رد فعل عالمي ، وكان ذلك أمراً طبيعياً ، فإنه عمل غير إنساني ، وقد سقطت قبل أيام طائرة ركاب روسية

فوق شرم الشيخ ، وادعت وسائل الإعلام أولاً أن هذه الحادثة تعرضت لهجوم داعش ، ثم غيرت الموقف ، فقالت : إن الحادثة وقعت بسبب خلل تكنيكي ، وبعده تغير الموقف ونسب الحادث إلى داعش .

وقد كان موقف الدول الغربية إزاء داعش موقفاً مرتبكاً غير واضح، أولاً التأييد وثم التركيز على موقف داعش مع المعارضين وإبراز أعمال القمع والقتل وسفك الدماء والسلوك غير الإنساني مع رجال الإعلام والأجانب والسلوك غير الإنساني مع غير المسلمين ، وعلى هذا الأساس نظمت فرنسا مؤتمراً عالمياً لوقاية الأقليات وخاصة الأقليات غير المسلمة في الدول الإسلامية ، وفي الوقت نفسه غضت البصر عما يحدث في سوريا من تدمير وقتل جماعي للأغلبية ، واستخدام قنابل كيماوية أدت إلى خسائر جسيمة في الأرواح من الأطفال والنساء ، تقشعر منها الجلود ، ولم يتحرك الضمير الإنساني لهذه الهجمات الجوية التي أدت إلى تدمير مناطق شاسعة في سوريا .

إن هذه الأوضاع البربرية لم تحرك القوى العالمية ولم تعتبر هذه الإجراءات إرهاباً ، ولم يحمل هذا الوضع أهمية إلا بعد دخول روسيا في هذا السيناريو ، وبروز خطر الصراع بين القوتين العالميتين ، وفي هذا الوضع الذي يخشى أن ينشأ به صراع بين أمريكا وروسيا لموقفها العنيد ودخولها في المعركة ،وقعت حادثة التفجيرات في باريس التي أثارت حفيظة الرئيس الفرنسي وأعلن بشن الحرب على ما اعتبره مدبر هذه الحادثة بشن الهجوم على داعش .

ولأول مرة في التاريخ بعد الحرب العالمية الثانية شوهدت قوات روسيا وقوات فرنسا مشتركة لمهمة الحرب ،وأشارت إلى هذه المصادفة صحيفة إنجليزية وقالت:روسيا وفرنسا تشتركان لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية في العمليات العسكرية .

إن هناك تفسيرات متعددة لما حدث في فرنسا ، وقد تكون مؤامرة لصرف النظر عن سوريا وتجنب الصراع مع روسيا ، وقد تكون جزءاً لمهمة أوربا لتخويف العالم كله مما تصفه بالخطر الإسلامي ، وجزءاً من الحرب غير المعلنة ضد الإسلام والمسلمين ، وليس من البعيد أن تكون حادثة باريس كحادث تفجير وقع في نيويورك الذي أدى إلى ضرب أفغانستان وتدميره و الذي ثبت فيه أن التفجيرات لم تكن مدبرة من الخارج بل كان جزءاً من الخطة للهجوم على العالم الإسلامي .

إلى الإسلام من جديد

# تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا

محمد فرمان الندوي

الإسلام دين الوحدة والتضامن ، دين الأخوة والمساواة ، دين يتساوى فيه جميع أفراد البشر ، دين يتفاضل فيه الإنسان على أساس التقوى ، فلا لون فيه ولا دم ، ولا حسب ولا نسب ، ولا زهو ولا نخوة ، ولا فخفخة ولا استعلاء ، كلكم من آدم وآدم خلق من تراب .

الوحدة قوة وحياة ، والتفرق ضعف وموت ، كلما توحدت الأمة في أمر أحرزت نجاحاً باهراً ، وكلما ابتليت بانتكاس وتفرق ماتت في عقر دارها ، ولم يبق لها عين ولا أثر ، وقد أوصى الله تعلى بالوحدة والتضامن على اختلاف الأجناس والألوان ، وتباين الديار والأمصار ، فقال : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ( آل عمران : ١٠٣ )

شهد العالم الإنساني في مختلف الدول أنواعاً من التفرق ، ولا شك أن الاختلاف فطرة إنسانية ، وقد شهد بذلك القرآن الكريم : (وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ( الروم : ٢٢ ) هذا الاختلاف للتعارف لا للتناكر ، للتنوع لا للتناقض ، لكن حينما جعل أداة للتفرق والتشتت توزعت الأمة بين خلايا متنوعة كثيرة ، كفى الهند ذكراً أنه قد انقسم سكان الهند منذ القدم إلى أربعة أقسام : ١ـ طبقة رجال الدين ( وهم البراهمة ) ٢ـ رجال الحرب ٣ـ رجال الفلاحة ٤ـ رجال الخدمة ـ وقد كان هذا التقسيم محموداً لديهم ، إذ أشرقت شمس الإسلام على أرضها فأتحفت بوحدة الرب ووحدة الأب ، فانكمشت تلك الفوارق ، وزالت تلك الحواجز التي أقامها الناس للتقديس والاحترام .

جاء الإسلام فجمع بين القاصي والداني ، وألف بين القلوب المتناكرة ، والقلوب المتحابة ، وملأها رحمة ومودة ،وحباً وألفة ، فهذا بلال الحبشي ، وهذا سلمان الفارسي ، وهذا صهيب الرومي رضي الله عنهم ، كلهم غير العرب ، لكن الإسلام ربطهم في خيط واحد ، وأقامهم على رصيف واحد ، فلا يحبون إلا لله تعالى ، ولا يبغضون أحدا

إلا لله ، ولا يجتمعون ولا يتفرقون إلا لله وفي الله ، فامتلأ الجو إيماناً وإخلاصاً ، وقد بذل الصحابة رضي عنهم لإبقاء أواصر الحب والوحدة جهوداً مضنية ، فهذا الحسن بن علي رضي الله خليفة المسلمين ، حينما شعر بأن هناك طائفة من الناس تريد أن تحدث الشقاق في المجتمعات الإنسانية ، وتسلب روحها وجوهرها ، وكاد أن يستتب الجو لهذه الطبقة ، ضرب مثالاً رائعاً إلى يوم القيامة بعمله التاريخي العملاق ، بحيث تنازل عن منصب الخلافة دحراً لهذه الفتنة العمياء ، وصدق ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : إن ابني هذا سيد ، لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ( صحيح البخاري )

العالم كله من شرقه إلى غربه متألم بالتفرق والتمزق ، ومثخن بجراحات الاختلاف والنزاع ، وهو يئن من وطأة الأثقال ، وكلوم الأجساد ، ويطلب الغوث والنجدة من أولي الغيرة والإيمان ، ولا يمكن جمع الأمة على رصيف واحد إلا بتزكية القلوب ، وجمعها على كلمة واحدة ، وعلى أساسيات الدين الحنيف ، هنالك يسود العالم جو من الأمن والسلام ، والأخوة الدينية ، قال شاعر :

رص الصفوف عقيدة أوصى الإله بها نبيه
ويد الإله مع الجماعة والتفرق جاهلية

ولا شك أن أخوة الإسلام هي العروة الوثقى ، التي لا انفصام لها ، فقد انخرط المسلمون في سلك واحد ، وإن كانوا من شتى البلدان ، لا يكسر هذه العلاقة حدثان الدهر ، ولا نكبات الزمان ، فإذا كان المسلم في أقصى الأرض ، وهو يتعرض للظلم والاضطهاد ، ويستهدف للتشريد والتقتيل ، فلا يكون أخوه مسلما حقيقيا إلا بتقديم النصر إليه – وعلى أقل تقدير – الدعاء له ، وقد كان المسلمون السابقون غيارى للإسلام ، قاموا لنجدة إخوانهم في جنح الليل ، وفي حر الظهيرة ، وقد دل على ذلك صراخ : وا معتصماه ، فالعالم الإسلامي يحتاج إلى مثل هذا المستغيث الضعيف والمغيث العبقري العصامي ، فأنّى لنا ذلك ؟ ومن يعيد هذا التاريخ المشرق اليوم ؟

قال معن بن زائدة :

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت أفراداً
كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحاداً

علم فقدناه

# فضيلة الشيخ العلامة السيد نظام الدين القاسمي

بقلم : الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي الأزهري

ولد هذا الشيخ الجليل ٣١/ مارس / ١٩٢٧م في مدينة غيا بولاية بهار (الهند)، وكان والده الشيخ السيد قاضي حسين القاسمي ، عالماً جيداً وتلميذاً رشيداً للعلامة مولانا السيد أنور شاه الكشميري ـ رحمه الله ـ شيخ الحديث الأسبق للجامعة الإسلامية لدار العلوم ديوبند .

وتوفيت والدته عام ١٩٣٠م قبل بلوغه إلى سن التمييز ، وكان في سن الرضاعة ، وبدأ دراسته في عام ١٩٣١م ببسم الله الرحمن الرحيم ، وبعد انتهائه من الدراسة البيتية شد رحله إلى المدرسة الدينية المشهورة " مدرسة إمدادية " لهريا سرائ دربهنكه ، الواقعة في بهار، ولم يناهز الخامسة عشرة من عمره حتى توفي والده ـ رحمه الله ـ ، وبعد وفاة والده بعام ارتحل إلى الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند في ١٩٤٢م ، والتحق بها ، ولقي هناك بحكيم الأمة السيد الشيخ مولانا أشرف علي التهانوي ـ رحمه الله تعالى .

واستفاد الشيخ هناك من كبار العلماء وأساطينهم أمثال شيخ الإسلام مولانا السيد حسين أحمد المدني ، والسيد مولانا السيد أصغر حسين القاسمي ـ رحمهما الله ـ وغيرهما ، ثم تخرج فيها من دورة الحديث عام ١٩٤٦م ، والتحق بشعبة التخصص في الأدب تحت إشراف السيد مولانا إعزاز علي القاسمي عام ١٩٤٧م

وبعد الفراغ من مرحلة الجامعة ، عين رئيس المدرسين في دار العلوم ساتهي بمديرية شمبارن الغربية لولاية بهار في عام ١٩٤٨م ، وظل مدرساً إلى عام ١٩٦٢م .

التحق الشيخ بالإمارة الشرعية في " بتنه " بهار ، لكفاءته العلمية وحنكته في مجال الدين بإيماء من الأمين العام هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين السيد منة الله الرحماني رحمه الله تعالى ، فظل الشيخ على منصب أمير الشريعة مكافحاً عن حقوق المسلمين في ضوء الشريعة الإسلامية طوال الحياة ، حتى توفاه الله عز وجل .

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ حليماً ، وقوراً وقائداً أميناً ، وكان من ميزته بأنه كان لا يفزع من أي أمر مفاجئ أيا كان نوعه ، وكان يتناول ذلك بجدية وببشاشة الوجه ورحابة الصدر وينجزه ويحكم فيه بكل سهولة ولين ،

وربما كان يعاني من ضغوط سياسية ، ولكنه كان يواجهها بجنة من الإيمان واليقين .

ومع ذلك كان لا يدلي ـ رحمه الله ـ برأيه من غير تفكير أو على عجل، وكان يوصل رسالته دائما إلى الحكام ، تارة علناً ، وأحياناً تلميحاً ، وتارة تعريضاً حسب الحاجة الراهنة آنذاك .

وأفاد ــ رحمه الله ــ بفكره المثالي وعمله الدؤوب وجهده المتواصل " هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين " والإمارة الشرعية ، فلواري شريف ، بتنه ، بهار ، كثيراً ، وأفادهما قلباً وقالباً ، علماً وعملاً وشرحاً وبياناً ، رحم الله الفقيد ، وأحسن مثواه وأكرم نزله ، وأمطر عليه شآبيب رحمته ورضوانه، فإنه نعم المولى ونعم النصير ، آمين يا رب العالمين .

وقد تحدث عنه أهل العلم والفضيلة بعد وفاته فقالوا : قال سماحة الشيخ رئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، رئيس ندوة العلماء العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي : كا ن ــ رحمه الله ــ رمزاً للعلم والمعرفة وخدمة الخلق بأوسع مفاهيمها .

وقال فضيلة الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي مدير دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند : إن الشيخ ــ رحمه الله ــ لم يكن الأمين العام لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ورئيس الإمارة الشرعية بهار ، وأريسة ، وجهاركند فحسب ، بل كان عالماً كبيراً لهذا البلد ، وماهراً في الفقه ، وداعياً إلى الله سبحانه وتعالى .

بذل الفقيد حياته كلها في خدمة العلم والدين ، وكان يؤدي مسئوليته كاملة ، وكانت حياته مثالية لذوي العلم والشرف والمنصب ، فقد فارقنا فضيلته وتركنا في حزن بالغ ، وأسى وأسف عظيمين ، وكان عضواً لمجلس ندوة العلماء التنفيذي ودار العلوم ديوبند ، وكذلك الجامعات الأخرى ، وأفاد الجميع بعلمه الواسع وعمله الدؤوب وحركته الجادة وأخلاقه العالية وإخلاصه العميق على المستويات كلها ، فالحمد لله على ذلك .

وقال السيد الشيخ العلامة ولي الرحماني : " كانت وفاته ــ رحمه الله ــ خسارة كبيرة لنا وللأمة جميعاً ، ولا يسد هذا الفراغ بسهولة .

قال رئيس جمعية العلماء لعموم الهند مولانا السيد أرشد المدني " لقد تلقينا نحن نبأ وفاته ببالغ الحزن والأسف ، وإنه كان من خريجي دار العلوم ديو بند المتفوقين ، وكان عضواً نشيطاً لمجلس الشورى لدار العلوم ديوبند . فقد أفاد فضيلته كثيراً هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين كما أنه أفاد الإمارة الشرعية بهار ، وأريسه ، وجهاركهند ، بحيث كان لها أميراً لائقاً " بكل جدارة وكفاءة .

وقال الشيخ شكيل أحمد القاسمي : " كان الشيخ السيد مولانا نظام الدين مشغولاً ببناء الأمة والملة طول حياته .

وقال أمير الجماعة الإسلامية في الهند الشيخ جلال الدين العمري: " الفقيد ـ رحمه الله ـ كان خادماً مخلصاً للدين والوطن .

وقال السيد مولانا عزير أحمد القاسمي سكرتير جمعية علماء الهند المركزية : " إن الفقيد رحمه الله كان يحمل في جنبه قلباً متألماً بقضايا الأمة وعلى أحوالها ، وكان يتحمل مسؤلية الأمانة العامة لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، وكذلك مسؤلية الإمارة الشرعية في بهار ، وأريسة ، وجهار كهند ، رغم أنه كان طاعناً في السن ، وكان يتوصل دائماً إلى النتيجة الإيجابية في ا لأمور والأحداث .

وقال غلام غوث : " وفاته خسارة فادحة للعباد والبلاد " .

وقال شمائل نبي : " كانت شخصيته مهمة للغاية من أجل علاقته بالله وخدمته للناس " .

وقال أختر الإيمان : " كانت ذاته المباركة مثل الشجرة المثمرة اليانعة "

وقال مولانا أبوالكلام القاسمي : كان عالماً جيداً ومحافظاً للدين والملة.

وقال السيد مولانا محمد إعجاز عربي القاسمي رئيس منظمة علماء الحق في الهند : كانت رحلته من الدنيا إلى الآخرة رحلة سعيدة للغاية .

وقال الدكتور ظفرالإسلام خان رئيس المجلس الاستشاري ، بعد ما أبدى أسفه الشديد على وفاته : " وفاة فضيلته خسارة كبيرة لا تسد بسهولة " .

وقال قاسم رسول إلياس عضو هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين: وفاته خسارة كبيرة للأمة والملة والدين .

وقال شمس تبريز القاسمي في حفلة العزاء الذي انعقد في مجلة نبي كريم، دهلي : " المثال الذي قدم فضيلته في البذل والسخاء والخدمة لا يوجد له نظير في التاريخ " .

وقال الحافظ امتياز أحمد الأمين العام لشمشير إيجوكيشنل أكيدمي: "وفاته خسران عظيم وستشعر الأمة الهندية بألمها إلى أمد طويل " .

وقال عبد المعيد خان رئيس الحزب لدار القضاء بجنوب الهند : " كان رجلاً جلداً وقوياً في فهم الأمور ، فإنه كان يعطي البصيرة حقها .

وقال القاضي محمد كامل لدار القضاء بجنوب الهند : " كان رجلاً مقبولاً ومحبباً لدى الخواص والعوام ، وكان يفضل الحياة الكادحة على حياة الراحة .

أخبار اجتماعية وثقافية

# رابطة الأدب الإسلامي العالمية تعقد ندوتها العلمية الخامسة والثلاثين

## في جامعة إشاعة العلوم في منطقة أكل كوا بولاية مهاراشترا

قلم التحرير

عقدت جامعة إشاعة العلوم في منطقة أكل كوا بولاية مهاراشترا في الفترة ما بين ٦ – ٨ نوفمبر لعام ٢٠١٥م و ٢٣/٢٥/محرم لعام ١٤٣٧هـ ندوة علمية حول الإعجاز البياني والهداية الربانية في القرآن الكريم ، وذلك على طلب من فضيلة رئيس جامعة اشاعة العلوم الشيخ الجليل غلام محمد وستانوي حفظه الله تعالى .

عقدت الحفلة الافتتاحية في القاعة المفتوحة الواسعة لدار التربية برئاسة سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، رئيس ندوة العلماء العام ورئيس هيأة الأحوال الشخصية للمسلمين على مستوى عموم الهند ، حضر الحفلة الافتتاحية جمع كبير من الضيوف المدعووين وحشد كبير لطلبة الجامعة ، قام بإدارتها كل من فضيلة الأستاذ نذر الحفيظ الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها لجامعة ندوة العلماء وفضيلة الشيخ الداعية الإسلامي محمد إلياس الندوي الباتكلي رئيس أكادمية الشيخ الندوي ، قدم كلمة الترحيب رئيس الجامعة فضيلة الشيخ غلام محمد الوستانوي ، تحدث فيها عن الأسباب التي دعته إلى عقد هذه الندوة العلمية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، وكان مدير الجامعة فضيلة الشيخ حذيفة غلام محمد الوستانوي ، ألقاها نيابة عنه ، وشملت الكلمة شكر المسئولين عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وأشاد بالأدب الإسلامي وأكد أنه حاجة الإنسان في كل زمان ، وقام بتعريف الجامعة وأشار إلى أهداف تأسيسها وأنها كانت قد بدئت قبل اليوم بـ ٣٥ عاما ، بستة طلاب ، ومدرسَين اثنين في عام ١٩٨١م ، ولكن

الله تعالى أكرمها بالقبول ، فبلغ عدد الطلاب اليوم نحو أربعة عشر ألف طالب ، ولها فروع في الولايات المختلفة في البلاد ، يبلغ عددها ألفين وست مأة وثلاثة وسبعين فرعاً (٢٦٧٣) وهي تسمى بالمكاتب القرآنية .

ووجه رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي خطاباً في هذه الحفلة الافتتاحية وتحدث عن تاريخ الرابطة ، وقال : إن الأدب كان قد اتخذه الهدامون لتحقيق إغراض خسيسة ، فكان المسلمون يرغبون عن مثل هذا الأدب ويعتقدون أنه ليس في صالح الإنسان ، ولا معنى فيه لبناء الحياة والمجتمع ، وإعلاء كلمة الله في هذه الأرض ، وتحدث عن سماحة الإمام الكبير العلامة السيد أبي الحسن على الحسني الندوي الذي أحس بهذا الخطر ، وأرسى قواعد رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، لدحض فتنة الأدباء الهدامين ، وتأكيد أن الأدب الإسلامي هو الذي كان عمدة للدعاة والمفكرين الإسلاميين ، وتحدث قائلاً : إن هذه الرابطة إنما أسست لكي يكون ركيزة للدعوة إلى الله تعالى ، الذي أنزله الله تعالى ، على أساس الفطرة الذي ينسجم مع الطبيعة الإنسانية ونفسية الإنسان .

وقد طلب من الأدباء الإسلاميين والعاملين في مجال العمل الإسلامي أن يخدموه بكتاباتهم وخطاباتهم ذات التأثير التي تحث القراء والمستمعين على دعم الحياة والمجتمع في ضوء الأدب الإسلامي ، الذي يمثله كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شرف الندوة سعادة الأستاذ الكبير السيد محمد واضح رشيد الندوي سكريتر الرابطة .

وحضر الندوة فضيلة الدكتور هاشم الأهدل أستاذ جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، وفضيلة الدكتور حسين أبو بكر كويا ، وفضيلة الشيخ عبد الله إسماعيل الكابودروي ، وفضيلة الدكتور محسن العثماني ، وفضيلة المفتي غياث الدين الرحماني ، وفضيلة الدكتور شفيق أحمد خان الندوي ، وفضيلة الشيخ محمد خالد الندوي ، وفضيلة الشيخ محمود حسن الحسني الندوي ، وفضيلة الشيخ السيد بلال الحسني الندوي ، وفضيلة الشيخ الأستاذ عبد الرحمن الملي ، وفضيلة

الشيخ القاضي مشتاق الندوي ، وفضيلة الدكتورمحمد صدر الحسن الندوي والشيخ سعيد محمد الوستانوي .

وقد أبدى معظم هؤلاء الضيوف انطباعاتهم عن الأدب الإسلامي وحاجة المسلمين إليه ، وكان لكاتب هذه السطور كلمة قال فيها : إن الأدب الإسلامي ، إنما هو الأدب الإنساني في الواقع ، وقد انبعثت في عصرنا هذا عناصر هدامة ، من أنصاف الأدباء ممن يسيئون الظن بالأدب الإسلامي ، ويركزون على تفنيده ، ونحن بمسيس من الحاجة إلى دحر هذه الفتن الأدبية والفكرية ، وذلك لا يتحقق إلا بواسطة الأدب الإسلامي الذي يمثل إصلاح المسيرة ويطالب استخدام القوى البشرية ، في عملية البناء ، وإزالة انقاض الأدب الهدام من جميع قطاعات الحياة والمجتمع .

وعقدت الجلسة الأولى للمقالات والبحوث في اليوم التالي ٧/ نوفمبر ٢٠١٥م ، يوم السبت صباحاً من ٣٠ : ٨ إلى ٣٠ : ١٠ والجلسة الثانية من الساعة ١١/ صباحاً إلى الساعة الواحدة ، وذلك في قاعة المؤتمر بمقر كلية العلوم والهندسة ، والجلسة الثالثة للمقالات عقدت بعد صلاة المغرب حتى صلاة العشاء في القاعة نفسها ، وفي صباح اليوم الثالث ٨/ نوفمبر يوم الأحد ، عقدت الجلسة الرابعة ، من الساعة ٣٠ : ٨ ، والجلسة الخامسة من ــ ١١ إلى الساعة ٣٠ : ١٢ في القاعة نفسها ، أما الجلسة الختامية فقد عقدت بعد صلاة الظهر في اليوم الثامن في المسجد الميمنى للجامعة ، وألقى في الجلسة الختامية العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني كلمة شكر وتقدير على الاهتمام الذي بذله المسئولون عن الجامعة بعقد الندوة العلمية للرابطة في منطقة أكل كوا ، كما ألقى فضيلة الشيخ العلامة عبد الله إسماعيل الكابودروي ( المشرف الأعلى لهذه الجامعة ) كلمة ، شكر فيها الضيوف الكرام وأبدى أمنيته لعقد مثل هذه البرامج في الجامعة وفي جميع المدارس الإسلامية في الهند .

نتمنى للجامعة الازدهار وللمسئولين عنه التوفيق الكامل من الله تعالى .

والله ولي التوفيق .

إلى رحمة الله تعالى

## (١) فضيلة الشيخ السيد نظام الدين إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

فجعت الأوساط العلمية والدينية في بلاد الهند على المستوى العام بنبأ وفاة فضيلة الشيخ العلامة السيد نظام الدين أمير الإمارات الشرعية في ولايات بهار وأوريسا وجاركهند في ١٧/ من شهر أكتوبر لعام ٢٠١٥م المصادف يوم السبت ٣/ من شهر محرم الحرام لعام ١٤٣٧هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد قد شغل منصب السكرتر العام لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لجميع الهند إلى مدة طويلة ، وأنجز خلال هذه المدة خدمات جليلة ومشاريع عديدة في مجال الفقه وقانون الشريعة لما كان يتمتع به من علاقة بالشعب المسلم في هذه البلاد بوجه خاص مع القيام بحل مشكلات السياسة العلمانية كذلك في هذه البلاد ، وقد نال أيام منصبه في هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين عهود ثلاثة رؤساء الهيئة ، منهم سماحة العلامة السيد الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى وفضيلة الشيخ الجليل القاضي مجاهد الإسلام ، وسماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي الذي لا يزال يشغل منصب الرئاسة الجليل لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين ، حفظه الله وبارك في أيامه السعيدة .

كانت وفاته خسارة كبيرة للإمارات الشرعية المذكورة أعلاه ولهذه الهيئة الكبيرة التي تمثل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند .

لقد كان الشيخ الفقيد رحمه الله من مواليد العقد الثالث من القرن المنصرم الميلادي وتخرج في العلوم الإسلامية من الجامعة الإسلامية بدار العلوم ديوبند في عام ١٩٤٦م ثم اشتغل بتدريس العلوم الإسلامية في الجامعة الرحمانية ببلدة " مونكير " وارتبط بالإمارات الشرعية في ولاية بهار كمدير لها في اليوم الأول من نوفمبر ١٩٨٨م ، وانتخب سكريتراً عاماً لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند في شهر مايو لعام ١٩٩١م، وظل على هذين المنصبين إلى آخر أيامه .

لا ريب أن الشيخ نظام الدين فقيد العلم والدين والدعوة والفكر الإسلامي ، وكانت حياته مثالاً للعلماء والدعاة والعاملين في مجال الفقه

الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، بلغ من العمر نحو تسعين عاماً ، فلم يدخر وسعاً في القيام بخدمة العلم والدين بأوسع معانيها وشغل حياته كلها في إبراز شخصية الدين وبناء المجتمع الإسلامي والدعوي والعلمي في ضوء الكتاب والسنة والفقه الإسلامي وضحى في سبيل ذلك بالنفس والنفائس فأكرمه الله تعالى بالتواضع والورع والإخلاص لله تعالى والاتصال به ، ووفقه الله تعالى للجمع بين العلم والدين والعقيدة والعمل ، فكان ذكيا في تفهم القضايا المستجدة والمشكلات العامة كما كان يساعد سعادة رئيس الهيئة في إيجاد فرص للقاء مع المسئولين عن الحكومة في هذه البلاد ، وذلك للبحث في المشكلات التي تواجه الجماهير المسلمة وتقديم حلولها في ضوء الشريعة الإسلامية وتعيين المكان والزمان لإنجاز مشاريع الهيئة والاستفادة منها على جميع المستويات .

لقد كان الحزن عاماً والأسف شديداً على وفاته بطبيعة الحال .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يسد هذه الخسارة بفضل منه ويتغمد الفقيد الجليل بواسع رحمته ويتقبل أعماله ويغفر له زلاته ويسكنه فسيح جنانه ويلهم أهله وذويه والجميع الصبر والاستغفار له والترحم عليه .

## (٢) فضيلة الشيخ المفتي محمد فاروق الميرتهي في ذمة الله تعالى

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى فضيلة الشيخ المفتي فاروق الميرتهي بأداء فريضة الحج لعام ١٤٣٦هـ فسافر إلى مكة المكرمة ، حيث تشرف بأداء فريضة الحج ، وفي اليوم العاشر من شهر ذي الحجة الذي كان يوم رمي الجمار ، توجه إلى منى ، حيث حدث ما حدث من التدافع الشديد بين الحجاج القادمين من منى ، والذاهبين إليها من طريق واحد ، مما أدى إلى استشهاد عدد كبير من الحجيج ، ومنهم فضيلة الشيخ المفتي محمد الفاروق ، أكرمه الله تعالى بالشهادة وتقبل منه عبادة الحج ، ورفع درجاته في الآخرة إن شاء الله تعالى .

كان فضيلة الشيخ رئيس الجامعة المحمودية في منطقة علي فور ، بمديرية ميرت ، بولاية أترابرديش ، وكان يشغل منصب شيخ الحديث فيها ، وكان بالغاً من العمر ٦٨/ عاماً ، وقد وفقه الله تعالى لتأليف كتب إسلامية ، لا يقل عددها من خمسين كتاباً ، ومع ذلك كان

يدرس صحيح البخاري في مدرسة أخرى وهي دار العلوم ، في مدينة ميرت كان من خاصة تلاميذ فضيلة العلامة المفتي محمود حسن الغنغوهي ، وخَلَفاً له ، وكان مسئولاً عن الجامعة المحمودية منذ تأسيسها ، قبل / ٣٢ عاماً ، وكان مشغولاً بشرح كتب الحديث ، وخاصة بشرح الصحيح للإمام البخاري ، كما أنه قام بترتيب مجموعة من الفتاوى باسم محمود الفتاوى وقد كان شيخه المفتي محمود حسن الغنغوهي قد أرسى الحجر الأساسي لهذه الجامعة ، فسميت : بالجامعة المحمودية نسبة إلى شخصه .

كان من كبار العلماء ، وقام بخدمات جليلة خلال هذه المدة القليلة ، وكان مغبوطاً في أوساط العلم والدين ، وموفقاً من الله تعالى في إنجاز أعمال علمية ودينية . تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفر له زلاته ، وأكرمه بالرحمة والمغفرة ورفع درجاته عالية مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

## (٣) الأستاذ محمد صفوان خان الندوي البوفالي في ذمة الله تعالى

فوجئت أسرة ندوة العلماء بنبأ وفاة الأستاذ ، الشيخ محمد صفوان خان الندوي البوفالي المقيم في المدينة المنورة كمدرس في إحدى المدارس الدينية هناك من مدة طويلة .

كان الراحل العزيز النجل الأوسط لسعادة الشيخ العلامة محمد عمران خان الندوي ( رحمه الله ) مدير دار العلوم لندوة العلماء الأسبق ، وكان قد درس الراحل العزيز في دار العلوم لندوة العلماء .

وبعد ما تخرج من جامعة ندوة العلماء سنة ١٩٦٨م سافر إلى جامعة بنغازي في ليبيا ، حيث أكمل تعليم العلوم الإسلامية ، ثم أصبح مدرساً هناك ، لعدة أعوام ، وفي عام ١٩٨١م سافر إلى المدينة المنورة ، حيث كان مدرساً خاصاً في إحدى المدارس .

وقد أصيب بمرض في ظهره ، وبعد معالجة اقترح الطبيب بإجراء عملية جراحية ، ومع ذلك أغمي عليه ، وظل في هذه الحالة إلى مدة عشرة أشهر ، حتى توفي في ٣٠/ من شهر أكتوبر ٢٠١٥م الموافق ١٦/ محرم الحرام عام ١٤٣٧هـ في المدينة المنورة وتم تدفينه هناك .

وخلف وراءه زوجتين وتسعة أولاد بين الذكور والإناث .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأغدق عليه شآبيب

المغفرة ، وأسكنه فسيح جنانه ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة .

## (٤) الدكتور محمد مظهر عالم الندوي في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة مفاجئة للأخ الأستاذ الدكتور محمد مظهر عالم الندوي كانت مبعث حزن وأسى بالغين ، وذلك عقب نوبة قلبية حادة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم أستاذاً مساعداً لقسم اللغة العربية في جامعة راجوري ( جامو و كشمير ) الهند ، وكان قد انتقل منها إلى نفس القسم العربي بجامعة وارانسي بولاية أترابراديش ، حيث فاجأته نوبة قلبية سببت وفاته رحمه الله .

كان من أساتذة وكتاب اللغة العربية ومن المتخرجين الأفاضل من ندوة العلماء في التسعينيات من القرن المنصرم ، كان يزود المجلة دائماً بكتاباته الأدبية ، وآخر ما نشر من مقالاته ( الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد المحرم ) في العدد الأخير من المجلد الستين للبعث الإسلامي .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته وأنزل عليه شآبيب الرحمة والمغفرة ، وألهم الجميع الصبر والسلوان .

## (٥) الشيخ وصي أختر إلى رحمة الله تعالى

أخبرنا الدكتور محمد مسلم الندوي بأن والده الشيخ وصي أختر قد توفي وغادر إلى الآخرة نتيجة اصطدام شديد بدراجة نارية كان يسوقها شخص في حال نشوة من شرب الخمر ، وكان سكران ، وذلك مساء يوم الجمعة ٢٠/ من شهر نوفمبر ٢٠١٥م ، الموافق ٧/ ٢/ ١٤٣٧هـ لدى خروجه من مسجد المستشفى بعد أداء صلاة المغرب ووصوله إلى الشارع في مديرية شيوهر ، بولاية بهار ، بالغاً من العمر ٧٥ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . جاءنا نبأ الوفاة وكان العدد ماثلاً للوصول إلى المطبعة للطباعة .

ونحن إذ ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الراحل الكريم بالرحمة ويغفر له زلاته ويتقبل صالح أعماله ، ويسكنه فسيح جناته ، نعزي أخانا الفاضل الدكتور محمد مسلم الندوي من صميم القلب ونرجو أن يلهمه الله تعالى وجميع أعضاء الأسرة وبالأخص والدته الكريمة الصبر والسلوان ، ويوفقهم للدعاء والاستغفار من الله العظيم .